

لِماذا أبكيتُم عصامَ؟

قصصٌ قصيرة

تَأْلِيفُ
أحمَدِ القَطّعانِي

النّاشِرُ
دارُ بشرى وكلثوم

الطّبعة الأولى 1439هـ2018م

لِماذا أبكيتُم عصامَ؟

قصصٌ قصيرة

تَألِيفُ
أحمَدِ القطْعَانِي

الطَّبْعَةَ الأولَى 1439هـ،2018م

النَّاشِرُ
دَارُ بُشْرَى وكَلْثُوم

- ستبقى الكلمات هي بوابة العالم الحقيقي.
- ترى أيهما يقتل الآخر،، هل الحب هو الذي يقتل الوقت أم الوقت هو الذي يقتل الحب؟
- وأيهما وجد أولا الألم أم الموسيقى؟
- وهل الوقت يسرق العمر أم العمر هو الذي يسرق الوقت؟
- وهل نستطيع أن نتذكر أشياء لم تحدث أصلا؟
- وهل الحركة هي عدوة التفكير؟

أحمد سالم كريم القطعاني

لماذا أبكيتم عصام ..؟

كل منا يملك آلة سفر عبر الزمن خاصة به فالذكريات تحملنا إلى الماضى والأحلام تحملنا إلى المستقبل.

============

- اسمعى يا بنت من المؤكد أنه مات الله يرحمه فمنذ مدة طويلة لم نسمع عنه شيئا وأنت شابة في مقتبل العمر ورمضان يلح على أبيك ليتزوجك فإلى متى ترفضين؟

حبيبتي فاطمة ،،،

لا زلت أذكر يوم رأيتك لأول مرة،،، رأيتك وأنت بين صديقاتك كنت متوهجة بينهن كقمر النصف وهنَّ حولك كفوانيس خبت أنوارها، كجوهرة أصيلة نفيسة وسط كِسرٍ من زجاج آسف إذ أقول عنهن هذا ولكننى ما تعودت معك إلا قول الحق، ثم رأيتك بعدها في أحلامي تنظرين إليَ بعينيك العميقتين كوادي الغريقة وتقولين أنك تهتمين لأمري.
ما هو الذي يميزك عن غيرك من نساء الدنيا ويجعلك طاووسا بين أنواع الطيور وبدرا بين أصناف الكواكب أهو مسحة الطيبة على محياك النقي؟ أم هدوؤك؟ أم أسلوب حديثك المنساب كنسيم شط الحمامة؟ أم تقاسيم وجهك المخملي البديع التي تشبه قطعة موسيقية أخاذة رائعة ترافق ألحانها الحانية كلمات قصيدة خالدة ؟ أم كلها عجنت معا لتصنع هذا المخلوق الرائع فاطمة.

عصام،، فادا/ تشاد 1987/1/2م

السعادة سراب كاذب يلوح للعطاشى.

- ماما،، قلت لك ألف مرة إنني لا أتصور نفسي زوجة لأي رجل في الدنيا سوى عصام، كما أنني لا زلت شرعا زوجته فكيف أتزوج سواه؟
- هو زواج الخيبة والقهرة لم يدم إلا شهرا واحدا فكيف تتشبثين به؟ والحمد لله أنك لم تنجبي منه، أما موضوع الشرع فدعيه لنا وسيقوم أبوك بالإجراءات الرسمية التي تسمح لك بالزواج مجددا.

الأشياء لا تتغير بل نحن الذين نتغير.

حبيبتي فاطمة،،،

يقولون لا أحد تجده كما تصورته وهذه حقيقتي سامحيني،، لم أعد أصلح لحبك فأنت طهر ونقاء أنت نهار وضياء أنت لست سوى ملاك كريم ضل طريقه في سبل السموات السبع فنزل خطأ إلى كوكب الأرض ليرتقي برؤيته الناس عن مستواهم إلى مصافه مصاف الملاء الأعلى،، أما أنا فقد لوثتني هذه الحرب الضروس واعتادت عيناي أن ترى الدماء تُسفك والأشلاء تتطاير وأذناي أن تسمع المدافع تدوي حممها والبنادق تطلق نيرانها، ولا حديث لرفاقي إلا عن القتال والكمائن والذخائر ولا تحمل أيدينا إلا البنادق والخناجر، هذا الذي يكتب لك الآن ليس أنا انه شخص آخر يحمل وجهي واسمي لا يستحقك فانسيه،، نعم انسيني ولن أذرف دمعة واحدة،، فحيث تندلع الحروب تتيبس المحاجر وتجف الدموع لأنها صفة إنسانية ولا مكان للإنسان وصفاته في ساحات المعارك لأنه يختفي ليحل محله وحش ضار لذا فأنا لم أبكِ قط خلال كل هذه الحرب المتوقدة رغم كل ما رأيت،، ولكنني أعلم أن شيئا واحدا سيبكيني لا محالة،، وهو أن تنسوا عصام .

<u>عصام،، زوار/ تشاد 1987/1/23م</u>

– لا لا لا أرجوكم اقطعوا رقبتي اسقوني السم أوقدوا في جسدي النار فإنه والله العلي العظيم أهون عندي من أن تغلق عليَّ حجرة واحدة مع غير زوجي عصام، صدقوني لم أعد أصلح ولا أريد أن أصلح زوجة لأحد سواه يا ناس دعوني في همي.
– دعك من هذه السخافات أما سمعت النساء كيف يتكلمن عنك حتى الأطفال سمعتهم بأذني وأنت أيضا سمعتهم يسمونك: فاطمة عصام،، لا تصدقي البنات اللاتي يأتينك لتقصي عليهن حكايتك معه فإنهن يضحكن عليك وما منهن واحدة إلا وتتمنى أن تكون هي التي طلبها رمضان للزواج لتبصم بأصابعها العشرة على الموافقة.

<u>حبيبتي فاطمة،،،</u>

الحب كالمطر تنتفع به كل أرض على قدر خصوبتها فما أسهل أن يحب المرء ولكن ما أصعب أن يجد من يستحق حبه وقد كنت محظوظا بلا شك إذ أحببت من هي أهل لحبي وتستحقه فملايين من الناس سكبوا عواطف جياشة صادقة على من لا يستحق فضاعت أعمارهم سدى كمن يسقي شجرة ميتة أنت هي المرأة التي طالما انتظرتها وأردتها كأنك خلقتي على مرامي،،، ليتني أعلم إن كانت رسائلي تصلك فأنا أعطيها لمن يرجع من رفاقي في إجازة أو علاج ليرسلها بدوره إلى البيضاء إلى صديقتك آمال بمستشفى الثورة لتوصلها لك.

إنني أخاطبك على صفحات الورق كلما تحين فرصة أما الذي أخاطبك به بيني وبين نفسي فهو حديث طويل لا ينقطع كان يستغرق في الأول كل يقظتي ثم ازداد اتساعا ليستغرق أيضا كل غفوتي فأنا في حديث مستمر معك لا ينقطع أخبرك عن رفاقي وما يقولونه فردا فردا وطعامي وشرابي وثيابي وما أرى وأسمع لكأنكِ أنت الحاضرة وأنا الغائب .

عصام،، بيركوران / تشاد 1987/3/19م

- كيف حالك يا فاطمه،،، هل تسلمت رسالة جديدة غير الرسائل الست الأولى من عصام؟ سألها بأسلوبه الأبوي الحنون أستاذها في مادة اللغة العربية عندما كانت طالبة في مدرسة الخنساء، لقد استغربت سؤاله فلم تكن تعلم أن قصتها مع عصام ورسائله تجاوزت الأطفال والنساء والأقرباء لتصل إلى حد أن تشغل هذا الأستاذ الفاضل، فحدقت بحزن إليه شاكرة اهتمامه.
- ناجيه،، انظري هاهي فاطمه التي قلت لك عنها،، انظري بعينك لتتأكدي فهي لا تتكلم مع أحد كما ترين ودائما مهمومة وحزينة وتفكر كأنها تحمل الدنيا على رأسها، أمها تقول أن الرجل أطعمها سحرا وأعتقد أنها على صواب فهي لم تعرفه إلا أياما فقط ومع هذا ترفض الزواج رغم أنهم يقولون أنه قُتل في الصحراء، وعندها ست رسائل منه تقرأها على بعض من يزورهم أظنها مجنونة، أما أمها فقد أقسمت على أن تزوجها من قريبهم رمضان الذي توفيت زوجته ويحتاج امرأة لتهتم به وبالمنزل والأولاد والرجل ليس فيه عيب وبارك الله فيه اللي رضى بها،،، صحيح هي جميلة ولكن هناك من هو أجمل منها ثم ما فائدة الجمال من دون عقل وازن.

نحن نرى الآخرين بما نحب أن نراهم عليه.

حبيبتي فاطمة،،،

أخبرك سرا،، ما صدقت أبدا بيني وبين نفسي أنك صرتِ زوجتي أمام الله والعباد وما صدقت أبدا أنك وافقت على خطبتي ولا انتبهت حتى لأبي الحنون وهو ينفق ما عنده ويستدين ليزفك لي في أبهى صورة بعد أن قال كلمته الخالدة التي لن أنساها قط: {عصام،، في مثل هذه المرأة حُق للأموال أن تنفق} .

فمنذ رأيتك لأول مرة وأنت تسيرين حاملة حقيبتك المدرسية ذهلت إذ لم أر أقدامك تلامس الأرض كباقي خلق الله لكأنك تطيرين فوقها بهدوء لذا لا تستغربي أن اعتقدت أنك عالية أعلى من نخلة شارعكم وشجرة الصفصاف التي جلسنا تحتها لحاجة في نفسي في الأبرق

ذلك اليوم السعيد أتذكرين إذ سمعتنى أتمتم ولم تفهمي كلامي، لقد كنت وقتها أنتقم من الصفصافة متشفيا منها قائلا: تصاغري أيتها الصفصافة الهزيلة وتضاءلى فمن أنت لتقارنى بالعود الطري والجمال البهي والمُحيا الزهي والورد الشذي والقوام الندي والشهد الجني فتصاغرت وتضاءلت.
تيقني يا حبيبتي أنك ولدتي لتكوني ملكة وكل الناس حولك رعايا يلبون أمرك ويطيعون قولك، ولدتي لتكوني دليلا على أن الحور العين لهن مكان على الأرض أيضا إضافة لمكانهن في نعيم الجنة، ولدتي لتقبل الشمس جبينك الأشم وتداعب الريح غدائر شعرك الحالك ويسرق النسيم العليل قبلا من خدك النائر ثم يجثو أمامك خاشعا ليقبل قدميك، لقد ولدتي ليشمخ أنفك البديع بين البشر يعلمهم العزة والسؤدد.
عصام،، فايا لا رجو/ تشاد 1987/3/26م.

هناك امرأة في كل قصة.

- نحن جيران وأنا صديقتك منذ الصغر ومن واجبي أن أنصحك فلا الشباب يدوم ولا العمر ينتظر وأنت لا أولاد لك منه ولا يعقل أن تضيعي عمرك كله في انتظار رجل من المؤكد أنه قُتل في الصحراء ودفن تحت رمالها الملتهبة فقد مضت مدة طويلة على آخر رسالة جاءتك منه ولو كان حيا لكتب أو اتصل كما أنك لم تتزوجي به إلا أياما لا تتجاوز الثلاثين تداركي نفسك ودعي الخيالات والأوهام عنك واخرجي من جو الأحلام والذهول الذي رميتي نفسك في نيرانه وعيشي حياتك وادعي له بالرحمة والمغفرة.

حبيبتي فاطمة،،،

لم تدم علاقتنا إلا شهران واحد قبل الزواج والآخر بعده ولكنني لا أنظر لحياتنا معا من هذه الزاوية الضيقة فقد علمني بُعدي عنك ووحدتي في خيمتي العسكرية النائية أن أحوّل هذين الشهرين إلى أيام وأحول الأيام إلى ساعات وأحول الساعات إلى دقائق وأحول الدقائق إلى ثواني لأحصل في النهاية على وقت يُعد بعشرات الالاف لنا معا أتذكر كل ثانية منه كما يتذكر المريض العافية والعطشان الماء البارد العذب الزلال، بل أكسر أحيانا أغلال الزمان وقيود المكان لأعيشه لحظة بلحظة من جديد كأنه لم ينقض بعد ولذا أنا خائف مرتعب إلى أقصى درجة من هذه الحرب وما قد يصيبني منها كما أصيب غيري، فالخوف على قدر الأمل والرجل الذي لا يخاف هو الذي لا أمل له وأنا لي أمل كبير جدا هو أنت.

بمنتهى الشوق كما ينتظر المريض الشفاء أنتظر يوم رجوعي سأتيكِ مباشرة لتكوني أول من أراه وألقاه قبل كل أحد ولن يغضب والدي عليَّ لذلك فهو يعلم أنني أحبك لحبه وسأحضن بقوة كفيك الناعمتين بكفي هاتين وأقرأ في عينيك رواية مشوقة رائعة رحلت عنك إلى الجنوب ولم أتمها.

عصام،، برداى/ تشاد 1987/8/12م

- تمسني يدُ غيره لئن أصاب بالجرب أفضل لي،، ينكشف وجهي وشعري وجسمي على سواه،، أتمزحون؟ مستحيل،،، أنا لا أريد ولا أتصور ولا أعلم كيف يمكن أن تمس بدني غير يده، أنا أرض وقف موقوفة علي رجل واحد حية وميتة اسمه عصام،،، يحرم عليَّ غيره من رجال الدنيا لا رغبة لي إلا فيه هو فقط، يده فقط التي أريد أن أراها وأقبلها كفا وظهرا وأمررها على وجهي فتعيد الحياة إليه من جديد، وجهه فقط يؤنسني في ليلي ونهاري، صوته فقط أسمعه يرن في أذني، كلماته فقط ينفتح لها قلبى أما إن كان قتل كما تقولون فاعتبروني قتلت يوم قتل وإن لم أدفن بعد.

حبيبتي فاطمة،،،

ما كنت أهتم بشي قبل أن أراك بل لا أدري كيف عشت كل ذلك العمر من دونك، وما الذي فعلته بى حتى أظهرتي كل شيء جميل كان مطمورا في داخلي إلى العلن هكذا مرة واحدة، الذي أشعر به نحوك ليس حبا ولا ينبغي أن يكون كذلك إن كلمة حب أقل بكثير من قدرك الذي يجب لك، إنه محيط متلاطم العواطف والمشاعر من الاحترام والتقدير والإجلال والإبهار والإعظام والإكبار والعطف والشفقة والبخل والطمع والشجاعة والجبن مزجت معا ثم أوقدت عليها نيران الشوق الطويل ليُصب ذلك كله حارا ملتهبا في شرايين قلبي وثنايا صدري ويصنع عاطفة رهيبة عاصفة نحوك اسمها الحب،،، وها أنا أعود لأسميها الحب من جديد .

عصام،، معطن السارة / تشاد 1987/9/4م.

- سيتم الزواج شئتي أم أبيتي ولا وقت عندي أضيعه في هذا الكلام الفارغ الذي ترددينه، وسأحرق هذه الرسائل التي تقرئينها كل يوم وتسمعينها لشقيقاتك وجاراتنا حتى كدت تفسدين عقولهن بعد أن ضيعت عقلك وستضيع مستقبلك إنهم يضحكون عليك وعلى قلة رأيك كما ضحك عليك وعلينا هو من قبل، ما الذي يعجبك فيه؟ هو لا مال ولا جمال

ولا وظيفة ولا سيارة ولا أي شيء حتى شقة يسكنك بها لا يمتلكها ولولا والده لبتي في الشارع، لقد أعطيت كلمة للناس وغدا سنقرأ الفاتحة وأنا أدرى بمصلحتك ولا تهمني موافقتك من عدمها عندنا ما يكفي من البنات والأولاد في المنزل والتي تتزوج وتغادر الدار خير من التي تبقى أم تظنين أنني سأتحملكم إلى اخر العمر.

أقسى دمعتين هما دمعة المظلوم ودمعة المحروم.

الوقت ليل،، وعقود الأضواء تُحلي المنزل وضوضاء وأصوات غناء القتيات على إيقاع الدرابيك وهناك خيمة كبيرة بها رجال كبار وصغار وقصع الطعام تدخل وتخرج والسيارات مزينة بالباب وتنطلق مرسيدس سوداء في مقدمتهن بفاطمة عروسا إلى شقة زوجها الجديد، ورجل قادم من غياهب الظلام يتجه صوب دار العرس ناحل العود يضع على عينيه نظارات يبدو عليه التعب والإنهاك يجر قدميه ببطء مستغربا ويطرق باب المنزل المفتوح... ويأتيه شاب في مقتبل العمر إنه سليمان شقيق فاطمه فيبتسم له الطارق ويصافحه بل لا يكتفي بذلك انه يضمه إلى صدره بقوة وشوق، ويصيح سليمان:

- أمي أمي تعالي بسرعة عصام زوج أختي فاطمه بالباب .

مسجد كبير اسمه الوطن

بني بنيتي.. أراكما تنكبان على الفضائيات تشاهدان كل ما تبثه وتجولان في بحار الانترنت والفيس بوك وتويتر وغيرها وتقتبسان كل يوم عادات وقيما من خارج حدودكما تضيفانها إلى أساليب حياتكما وكلمات وجملا ولباسا وتسريحات وطعاما وموسيقى وأغان تفرحان بها وتريانها هي الحياة لا غير.

=============

تايلاند دولة محدودة الدخل تعتمد على السياحة بشكل أساسي وقد تضررت الحركة الاقتصادية بها تماما جراء زلزال تسونامي، وهجر المرتادون الأجانب شواطئها وأقفلت الفنادق وتعطلت حركة الخدمات بمن فيها من موظفين وعمال وتداعى الشعب كل الشعب - ولا أقول الدولة - للخروج من هذه الحفرة المظلمة التي لا تستثني أحدا وقام كل مواطن ذكرا أو أنثى طفلا أو عجوزا بما استطاع بما في ذلك حتى المساجين الذين حولوا ساحات السجن إلى مزارات سياحية فصاروا ينظمون بينهم مباريات الملاكمة على حلبات معدة وتحت إشراف حكام محترفين وكرة القدم والطائرة والسلة وفن الرسم على الجدران، ثم أعلنت السجون أنها تفتح أبوابها مرحبة لا بالخارجين عن القانون هذه المرة بل بالسياح ليقضوا وقتا جميلا مع نشاطات المساجين وبينهم، ونجح البرنامج غير المسبوق نجاحا مذهلا في تحريك عجلة المال في البلاد وتحول المجرمون إلى أدلاء سياحيين يشرحون بكل أدب للزوار مواضيع نشاطاتهم وإبداعاتهم المختلفة؛؛ تصور المجرم القابع في داخل زنزانته يفكر ويعمل بهذا الأسلوب فكيف يكون الآخرون؟

قناة فضائية لا تنطق العربية بل اللغة الفرنسية تنقل حدثا سنويا هاما من أدغال احدى الدول الأفريقية يتمثل في ساحر يغطي رأسه وجسده بالأصباغ الفاقعة وجلود الحيوانات ورؤوسها وأنيابها وخلفه بنو قبيلته بأجسادهم السوداء اللامعة من أثر العرق المنسكب عليها بغزارة والأصباغ والريش والجلود تغطي أجسادهم والرماح في أيديهم، والجميع يضربون الطبول ويرقصون حول النار والساحر تتقمصه أرواح الآلهة الشريرة ويحاورها منذ الصباح بلسانه ويديه وهو يقفز مضطربا ويضرب الأرض بأرجله ورمحه حتى أقنعها في آخر اليوم بأن تستعجل إنزال المطر، وفعلا أعلن على الملأ إن الآلهة استجابت له أخيرا واقتنعت بضرورة إنزال الأمطار في مواعيدها.

وانفض الحفل البهيج وتفرق عشرات الالاف من الحاضرين وتوقفت مئات كاميرات التصوير الفوتوغرافي والمرئي ناهيك عن البث المباشر عبر بعض القنوات عن عملها، ليجري مراسل تلك القناة حوارا مع أحد أفراد القبيلة الراقصين حول النار ليتبين أنه أستاذ جامعي في باريس تعود أن يأخذ إجازة من جامعته في هذا الوقت من كل عام ويحضر للمشاركة مع الساحر في أداء الرقصات والاحتفالات ليساعد بحضوره في استقدام السياح إلى مضارب قبيلته مما يعود عليهم بفوائد اقتصادية تكفيهم لعام كامل مغبة المجاعات والعطش والمرض.

غني عن البيان أن كل القبيلة كانت قد تركت الوثنية بما فيهم الساحر وصاروا إلى الديانة المسيحية الكاثوليكية، وأنهم هجروا هذه الطقوس منذ قرون وإنما يؤدونها خدمة لبلدهم ومواطنيهم لا غير.

نسيت أن أقول لك أن فضائيات أجنبية كثيرة تنشر بيننا الوعي بالخلاعة والمجون ووباء الاباحية وبلاء الفجور إما باللغة العربية مباشرة أو بالكتابة العربية المترجمة أسفل الشاشة ولكنها تنسى أن تفعل الأمر نفسه مع بعض فقراتها الأخرى ...

هولندا دولة صغيرة جدا يبلغ عدد سكانها 16 مليون نسمة كانت تحتل يوما في مفارقة غريبة اندونيسيا أكبر بلد مسلم في العالم البالغ تعداد سكانه 170 مليون نسمة، أما مساحتها فتساوي منطقة البطنان عندنا تقريبا ونظر الناس - ولا أقول الدولة - منذ قرن مضى في ظروفهم فعلموا أن الأرض ستضيق بطموحاتهم وستعجز لا محالة عن توفير الحياة اللائقة بهم وبأولادهم من بعدهم فعمدوا إلى حل عجيب لم يُسبقوا إليه قط، إذ أخذوا يردمون آلاف كيلومترات البحر المطلة عليه شواطئهم بالتربة ينقلونها من اليابسة عبر الطرق الترابية وبكل وسيلة نقل ممكنة في ذلك الوقت تطوعا بلا مقابل؛؛ ثم لم يكتفوا بذلك بل أصلحوا تلك الاراضي المستحدثة وعالجوا نسبة الملوحة الزائدة بها حتى حققوا حلمهم الكبير وهم الآن يمتلكون بلدا من أجمل ما ترى العين خضرة يانعة وماء عذبا وزبدة ومارغرين وجبنة وقشدة وسمن بل أن دخلهم القومي السنوي أكثر من دخل كل الدول العربية الموقرة مجتمعة سنويا.

في اليونان القديمة ولد قائد عسكري فذ عبقري في تكوين الجيوش وتدريبها وقيادتها ووضع الخطط العسكرية الناجحة فانتصر في كل المعارك الحربية التي خاضها في مشرق الأرض ومغربها ودانت له بقاع العالم آنذاك اسمه (الاسكندر المقدوني) وهو الذي تحمل

مدينة الاسكندرية في مصر اسمه الآن إذ غزا كل مصر وأجزاء واسعة من ليبيا أيضا، وهو ليس ولي الله ذا القرنين الذي ذكر الله سيرته العطرة في ثنايا سورة الكهف ومكّن له في الأرض وأتاه من كل شيء سببا على ما ذكر في القرآن الكريم، كما يخلط كثيرون للأسف .

المشكلة أن الاسكندر رغم كل ما ذكرنا كان منحرفا يعاني عيبا أخلاقيا كبيرا تُحرمه الشرائع وتنفر منه الفطرة السوية وترفضه القيم والأعراف التي تنظم طباع المجتمعات وتفرق بين سلوك الرجال وسلوك النساء، وهي حقيقة يتفق عليها كل مؤرخي العالم وتذكرها بإسهاب كتب التاريخ وعلوم السير ما عدا مؤرخي اليونان وحدهم الذين استمروا في توارث تغطية عين الشمس بالغربال وتأكيد نفي هذه الحقيقة الجازمة كي لا يشوهوا تاريخ رمزهم الأكبر وأهم قائد عسكري عالمي يفتخرون بانتمائه إلى بلدهم وأرضهم وحمله جنسيتهم وانتمائه لعرقهم، إنه باختصار جزء هام من تكوينهم الوجودي وتاريخهم وحضارتهم وعزتهم وينبغي أن يديروا ظهورهم لكل حقائق الدنيا لكي يكون كذلك أمام أعين أولادهم والعالم كله .

وفي مطلع العام 2005م أنتجت احدى شركات هوليود السينمائية فيلما تاريخيا عن الاسكندر المقدوني يذكر انتصاراته الباهرة وحروبه المظفرة ولكنه لم يغفل أيضا انحرافه الأخلاقي المنفر هذا، فاستنكرت دولة اليونان رسميا هذا الفيلم ولكن لم يؤثر ذلك بالطبع في شيء، إذ الاستنكارات السياسية والاستهجانات الدبلوماسية هي مضيعة للوقت لا غير، ونحن العرب نعد أكبر خبراء العالم في هذا المضمار إذ مضى علينا قرابة الستين عاما نستنكر ونرفض وندين بشدة ونندد بأفعال العدوانات الاسرائيلية الدائمة على العرب وهم يزدادون تماديا والعالم يزداد لهم تصفيقا وتشجيعا ونزداد نحن ترديدا للاستنكارات التهريجية والتنديدات المضحكة، ولكن بعيدا عن كواليس السياسة الملتوية وأسواق الدبلوماسية المظلمة كان السلاح الأمضى في يد اليونانيين أنفسهم إذ قاطعوا جميعهم الشركة السينمائية من هو داخل اليونان منهم ومن يعيش خارجها ومن يحمل جنسية أخرى في بلد ما وينحدر من أصول يونانية الجميع قاطعوا الشركة فلا يشاهدون أفلامها ولا تنشر أي صحيفة لهم إعلاناتها ولا يقيمون أي صلة معها تجارية أو إعلامية أو سواها، والمعركة حديثة لم تحسم بعد ولا أعرف ما ستؤول إليه الأمور ولكنني متأكد من أن الشركة لن تفلس وأن عدد اليونانيين أقل بكثير من أن يلحق بالشركة أذى يُذكر إنني فقط أسجل اعجابي

بموقف اليونانيين ازاء قضية تاريخية تمسهم واجتماعهم على رأي واحد وتشبثهم به رغم أنني أخالفهم فيه.

المانيا وقد زج بها مخبول بجنون العظمة اسمه (أدولف هتلر) مريض بهواجس العنصرية والتفوق على الناس لا قيمة للدماء والرقاب عنده في أتون حروب مهلكة أحرقت الأخضر واليابس وقتلت وشردت ويتمت عشرات الملايين وانتهت بتدمير كل ألمانيا وتقسيمها ثم انتحر هتلر تاركا كل ألمانيا أنقاضا متراكمة فوق بعضها البعض والجثث في الشوارع والنيران في كل ناصية والدموع في كل منزل في العالم.
انتهت الحرب العالمية الثانية ونظر الألمان في حالهم فرجالهم إما أكلتهم الحرب أو قطعت أوصالهم وأعاقتهم عن العمل، وأطفالهم جوعى مشردون ونساؤهم بائسات أرامل أو ثاكلات وإذ بهم جميعا ينهضون من كارثتهم المفجعة لينتظموا ذكورا وإناثا أطفالا ورجالا هذا مقطوع اليد وذاك قعيد فاقد لرجليه أو احداهما وتلك عمياء وأولئك جوعى ومرضى يجمعهم هدف واحد انتظموا لأجله جميعا جنودا في ميدان شريف اسمه ميدان الحياة المتحضرة الكريمة اللائقة بهم وبأبنائهم من بعدهم واصطفت الطوابير بالآلاف أمام مكاتب تنظيم العمل التطوعي ليعملوا ليل نهار من دون أجر وبالحد الأدنى من القوت والكساء الضروري وفي ظرف خمس سنين فقط عادت ألمانيا دولة عظيمة من جديد ولم ينته القرن حتى خرج أبناؤهم بعدهم لتتميم عمل ابائهم الأماجد فهدموا سنة 1989م سورا بغيضا اسمه سور برلين عرضه عشرة أمتار تعلوه القضبان الشائكة وجنود الحرس المقيت وكلابهم وبنادقهم وأضواؤهم الكاشفة بنته الأيدي القذرة ليفصل الأخ عن أخيه والأم عن ابنها والابن عن والده،، ثم هاهي ألمانيا القوية الموحدة اليوم تشارك فرنسا قيادة الإتحاد الأوروبي بكل ثقله الاقتصادي والسياسي والعلمي والثقافي، فهنيئا لهم.

أما في باريس فقد وقفت شجرة وارفة ضخمة عنيدة في طريق أحد مشاريع الدولة ورغم اهتمامهم بالأشجار هناك ومبالغتهم في الحفاظ عليها إلا أن بلدية باريس لم تجد حلا أمامها بعد استنفاد كل الخيارات البديلة إلا قطع الشجرة.
وتسرب الخبر إلى الشارع، وفي اليوم المحدد للقطع جاءت جرافة كبيرة تتقدمها سيارة شرطة بها اثنان من رجال الأمن لأداء مهمة روتينية بسيطة، ولكنهم فوجئوا بتلاميذ المدرسة الثانوية المجاورة للشجرة يتحلقون حولها يحمونها بأجسادهم الفتية من القطع وحاول الشرطي جاهدا اقناع الصبية بمبررات القطع ولكنهم رفضوا سماع كلامه والوقوف

وأصروا على جلوسهم حولها واستدعى الشرطي مسؤوليه فقدموا ولم يقتنع الصبيان بكل شروحاتهم ومبرراتهم فاضطرت البلدية أخيرا لتغيير خريطتها وبقيت الشجرة شامخة بمواطنيها ضاربة جذورها في أديم الأرض بوعيهم،،،

بني بنيتي .. إنك لست أقل أبدا من أولئك ممن ذكرنا في شيء كما أحب أن أضيف لك حديثا شريفا قاله حبيبك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا به الدرس الأول في حب الوطن والعناية به، وهو {جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا - رواه ابن ماجه وأبو داود}.
وأنا لست بحاجة لإعلامكما بآداب المساجد وما يُفعل في حرمها وما لا يُفعل وعليه فكل بلدك ببحرها وأنهارها ومائها وأشجارها وطيورها وحيواناتها ويابسها وسائلها وأحجارها وترابها وأرضها وسمائها هي مسجد كبير ينبغي أن نتعبد الله فيه بالصيانة والرعاية والتعمير لا الفساد والتدمير.

حارس الأحلام

مشكلة الأحلام أنها على حق دائما، وأنا لا أملك إلا أحلامي وقد نثرتها على قدميك أرجوك خفف الوطء لأنك تطأ أحلامي.

============

{} العيش بلا ذكريات اختيار صعب.

ما كان يتصور قط أنها كل حياته ومحور بقائه، صحيح أنه تجوز بها منذ قرابة الأربعين عاما وهي عشرة طويلة استغرقت جل عمره رزقا خلالها بأبناء وبنات وأحفاد، ورغم أنها أمية لم تدخل مدارس ولم تتردد على الجامعات إلا أنها استطاعت منذ الأسبوع الأول لزواجهما ونقش حناء العرس لا يزال داكنا في كفيها وقدميها وخفر العذارى يكسو وجهها بحمرة الخجل القانية أن تلخصه كأنها دكتور نفساني محترف درس في أرقى الجامعات رغم أنها لم تره أو يرها قبل أبدا، عرفت منذ أول ساعة شخصيته وطباعه وماذا يحب ويكره واستطاعت أن تحول كل ذلك إلى أسلوب عيش دام نحو أربعين عاما متصلة يالها من امرأة فريدة.

لقد صار متأكدا بما لا يدع مجالا للشك أنها هي التي قادت مسيرة المنزل والأسرة بل وقادته هو شخصيا طوال هذه الأعوام الأربعين وإن كانت تظهر له وللجميع بذكاء عجيب أنه هو من يفعل ذلك.

منذ رحيلها إلى رحمة الله الواسعة الذي لم يمر عليه أسبوع واحد بعد وهو يشعر بأن قيمته ومكانته يتناقصان كل يوم، فقد كانت زينب هي من يعطيه هذه المكانة فطعامه بمواصفاته التي يفضلها تحرص على تذكير كل أفراد الأسرة به كلما اجتمعوا أو تفرقوا وثيابه مغسولة مكوية كما يحب وساعة راحة قيلولته ووقت نومه واستيقاظه كل هذا كان معلوما مرعيا في الأسرة كلها وهي التي تنقل أحداث يومه وملاحظاته وتوجيهاته للجميع بقولها قال الحاج وفعل الحاج وأراد الحاج ورفض الحاج ووو ... مما جعله طرفا حاضرا فاعلا في الأحداث دوما، ولكن منذ رحيلها اهتز عرشه من أساسه ليكون شيئا هامشيا على الرف، ولم يستيقظ من أحلام يقظته هذه إلا على صوت سي عبد الحليم ابن عمه وكبيرهم الحكيم الذي طالما نهلت كل القرية من علمه وحكمته واستفاد الجميع من محادثته ومجالسته يسأله:

- عاشور،، لماذا أنت باق في هذه القرية أرض الله واسعة وقد تقاعدت من عملك وعندك منزل جميل في المدينة انتقل إليه كما كنت تنوي دائما واترك هذا العجاج وراءك.

- أجاب: انني أفكر في ذلك ليل نهار، خصوصا بعد وفاة المرحومة ولكنني لم أدرك قط صعوبة اتخاذ هذا القرار إلا الآن .
- وما الصعوبة فيه؟
- بصراحة لا أستطيع البعد عنها حتى وهي في قبرها.

وتركه الرجل ومضى في طريقه وهو يتساءل بصوت تعمد أن يكون مسموعا: ترى أمن الممكن أن يتعلم المرء العيش مجددا بعد موت الحب؟

{} يغفر الإبن لأمه مالا يغفره لها أبوه.

ها أنا أحاول التذكر مجددا بعد سنين من محاولات النسيان وأحاول أن أعرف السبب الذي حدا به لتطليق أمي،،، أمي الطيبة الحنون يا لوجهها الطاهر البريء وهي توقظني باكرا للمدرسة وتجهز افطاري وتساعدني في دروسي يا لها من ملاك نزل من السماء ليشيع الخير والنبل في الأرض،،، كثيرا ما بكت معي وضحكت فرحا بي وأغدقت عليَّ من نبع أمومتها الصافي،، لماذا فعل بها هذا الأب القاسي كل ذلك وطلقها شابة صغيرة في ريعان صباها لتعيش حاملة لقب مطلقة البغيض طول عمرها،، لقد مر زمن طويل جدا وقد توفي الاثنان الآن هو وهي وهما بين يدي الله سبحانه وتعالى الآن.

وينتبه على طرق الباب انها أم زوجته تدخل متذمرة كعادتها من الحر والتعب والمرض ومن ابنتها التي تعودت الخروج ضحى كل يوم رغم نهي أمها وكل أسرتها وامتعاض زوجها وضيقه بأعذارها وأكاذيبها التي ترددها على مسامعه كلما سألها عن سبب خروجها اليومي وقت الضحى تحديدا، ويتجاذب مع حماته أطراف الحديث وفجأة ولأول مرة في عمره يباغتها بقوله: أتعرفين السبب الذي طلق أبي أمي لأجله؟

- وقبل أن تنتبه لنفسها وجدت العجوز لسانها الذي لم تتعود السيطرة عليه أبدا يقول: كله من ابن عمها عاشور الله لا يسامحه.
- عاشور ... من عاشور؟

وانتبهت العجوز لسقطتها فنهضت مفزوعة كأنها رأت عقرب شمس قادمة لتلدغها قائلة: قل لفوزيه عندما ترجع أنه دورنا الليلة في اعداد عشاء عزاء زينب الله يرحمها وعليها الحضور.

وعبثا ذهبت محاولاته ابقاء العجوز في المنزل ليسمع منها أكثر ولكنها قصدت الباب مباشرة وتركته يستجدي من يرحمه من هذه الذكريات التي ما فتئت تسمم حياته.

{} ليس بالإمكان الاعتذار عن أخطاء الآخرين.

سي عبد الحليم أنت حكيم القرية وشيخ قبيلتنا وكلنا ابناؤك وأنت تعلم قدرك ومنزلتك في قلوبنا وأنت الذي قدت سفينة قبيلتنا طوال هذه السنين بكل حكمة وتبصر أرجوك أخبرني عن أبي وأمي وأخبرني أيضا عن عاشور أنا لم أعد أعرف النوم ما لذي حدث أيهما ظلم الآخر الحق معه أم معها، ماذا فعلوا بي جميعهم؟ أجبني من فضلك .

ونظر العجوز إلى وجهه وقال: ليس العلم نورا دائما كما علموكم في المدارس فبعض الكتب يجب ألا تُقرأ وما بها من علم يجب أن يُطمس ولا يُعرف، ونهض وتركه وقد زادت حيرته وأظلمت عيشته.

{} العدالة عمياء في المحاكم ولكنها مبصرة في الشوارع .

نحن فقط لا نريد المشاكل فهو ابن عمنا ومنّا وعلينا ولولا ذلك لرفعنا عليه قضية في المحكمة وأوقفناه عند حده، كيف يرميها بهذه التهمة الظالمة التي تطالنا جميعا وتجعلنا مضغة في الأفواه انها أشرف من الشرف، وما يدعيه عن علاقتها بعاشور التي كانت قبل زواجه منها كما يقول واستمرت بعده هو كذب محض وإنما هو كان جارنا وابن عمنا ويزورنا في البيت ونزوره وذلك اليوم تحديدا نستطيع أن نأتي للمحكمة بعشرة شهود يقسمون للقاضي على المصحف انها كانت عندنا في المنزل وليست عند عاشور كما يدعي، ألا يكفي أنه طلقها وابنها الصغير في يدها؟

على كل حال نحن لا نريد منه شيئا إلا أن يلزم الصمت ولا يتناول سيرتها بسوء يكفي ما فعله بها الله لا يسامحه.

{} ثمة اشياء تغير حياة المرء للأبد.

ينظر في عينيها العميقتين الواسعتين ويقول: لقد عشت زمنا طويلا معدودا في أناس لا يتكلمون عن مشاعرهم،، أتعرفين لماذا؟

- وتهز رأسها بالنفي لتسمع المزيد من كلامه الذي تحب الانصات اليه فهو يهز وجدانها هزا رقيقا ويحرك مشاعرها ويجعلها تشعر بالحياة تتدفق في أوصالها، وتقول: لا،، لا أعرف.
- لأنهم لا مشاعر لهم،، وقد كنت منهم ومثلهم أما الآن فقد رفضتهم فلا هم مني ولا أنا منهم ولا أريد قربهم ولا دنوهم بل لم أعد أريد إلا النظر في وجهك الناصع وأن أمسك بيدك الدافئة الناعمة إلى الأبد.

وتنظر إلى الأرض مليا ثم ترفع وجهها إليه وتنظر في عينيه مباشرة وتقول: لقد طلبت منه أن يطلقني كما أرسلت له مع سي عبد الحليم أطلب الطلاق وأعتقد أنه ابتدأ يعرف السبب فقد ابتدأت علامات الشك تظهر في سلوكه، ومنذ فترة وهو يسأل هذا وهذه وذاك ويحاول أن يتأكد مما يساوره من شكوك أما أنا فإنني أعيش معه جسدا بلا روح لا حب بيننا ولا تفاهم ولا انسجام كل منا له حياته الخاصة وعالمه الخاص به، ولكنه يرفض الطلاق ولم يبق أمامي إلا أن أمضي في طريقي هذه معك وإن كان الظلام يحتويها من كل جانب فأنت متزوج ولك أولاد ولا سبيل إلا أن أسعى بكل الطرق لجعله يطلقني لنتزوج ونحقق حياتنا معا.

– نعم ان طلاقك هو يوم المُنى الذي أنتظره على أحر من الجمر وزواجنا سيكون عقبه مباشرة، ولكن أليس البرد قارسا لم لا ندخل الحجرة لنكون أدفأ،، وتذكر أنها دخلت معه الحجرة أياما وأياما مرارا وتكرارا وأعطته كل ما طلب عن حب وطيب خاطر،، كما تتذكر يوم وقف زوجها عند عودتها في وسط المنزل يوما وقد احمرت عيناه وجحظتا وتورم وجهه واسود وقد تأكد مما كان شكا وظنا ليصفعها بحقيقتها القذرة المريعة، وبدلا من التنصل من تهمة التهم ووصمة الخزي والعهر والتهرب منها فاجأته باعترافها بكل ما نسبه اليها، وكم كانت سعيدة عند أهلها وإجراءات الطلاق تتخذ مسارها القانوني حتى انتهت عدتها الشرعية وهي في منزل أبيها تنتظر الحبيب الغالي أن يطرق بابهم يطلب يدها ليتوجا ذلك الحب الكبير الذي ظللهما مذ كانا شابين يافعين ولكن الباب لم يطرق قط والوعد لم يتحقق أبدا.

لقد أمضت سنينا طويلة لتعلم أنها عاشت فعلا الحب الحقيقي ولكن ليس مع عاشور بل مع والد وحيدها الذي دخل دارهم كالرجال من بابه وطلبها أمام الله والعباد وأمهرها مالا وأقام لها بكل شهامة فرحا أنفق فيه ماشيته ومدخراته، أما الآخر فلم يكن إلا لصا متلصصا ضحك علي ذقنها بكلامه المعسول ليختلس في الظلام من فاسقة آثمة مالا يحق له, وهي اليوم تؤدي واجبا مقدسا في التكفير عما أجرمت في حقه إلا وهو حب ابنها مرعي وتربيته وتنشئته على مكارم الأخلاق التي داستها بقدمها يوما .

{} عشت كثيرا في الغد قائلا: غدا سيكون وغدا سأفعل ثم تبين لي أن الغد هو اليوم بلا أدنى تغير أو اختلاف.

صبي يافع يحمل لوح حفظ القرآن الكريم إلى الزاوية ككل ابناء قريته وأقربائه فلم تكن المدارس النظامية قد انتشرت في القرى بعد كما أنه لم يكن من النابهين الحافظين ليبعثه أهله للدراسة في داخلي المدينة مما اضطره لترك الكتّاب مبكرا، لا يزال يذكر ذلك اليوم عندما نظر إليه شيخ الزاوية وقال له:

أنت يا عبد الحليم صبي صادق طيب تحب الخير للناس تفضل الصمت على الكلام وهي صفة الحكماء وتجعل لسانك خلف عقلك وهي صفة العقلاء وتصون الأسرار وهي صفة النبلاء والناس يا ولدي تعودوا أن يحلموا ويتركوا أبواب أحلامهم مفتوحة مشرعة وما لم يجدوا لها حارسا فإنها تكون سوقا مباحا يدوسها كل صادر ويعيث فيها فسادا كل وارد لذا يوجد في الناس دائما من يكونوا حراسا للأحلام وأعتقد أنك ستكون أحدهم يوما.

وتقاذفته الحياة حتى جعلته شيخا لهذه القبيلة وهو لا يدري فلا رغب ذلك يوما ولا تمناه ولكنه وجد نفسه على رأس هذه المسؤولية الصعبة بلا أي طلب منه أو مشورة، وهم يظنونه مثاليا راشدا كامل العقل ولا يعلمون بعيوبه ليتهم يعلمونها ليساعدوه عليها خصوصا أكبرها وأخطرها إلا وهو النظر إلى الغد متأملا راجيا يوما أفضل وهاهو شارف على الثمانين واحدبت قامته ووهنت قواه وكلّ بصره وارتعشت أطرافه ولم يأت اليوم الأفضل الذي عاش عمره ينتظره، أما ظهره فلا يزال ينوء بهذه الأمانة القاسية أما خلاصة ما استفاده في رحلة حياته الطويلة هذه فهو أن اليوم هو الغد والغد هو اليوم وأحداث الحياة ووقائعها متكررة دائما لا ولم ولن يتغير منها شيء البتة، لهذا قرر أن يترك رسالة لمرعي ابن عاشور أقصد ابن،،، أقصد ابنها لا تحتوي سوى على سطر واحد يقول: الوقت هو وسيلة الطبيعة الوحيدة كي لا تحدث كل الأشياء معا في لحظة واحدة ....

وربما سيفهم مرعي المعنى يوما .

{} الدموع تضيع في قطرات المطر.

انه يجلس أمام باب منزله سارحا مع أفكاره السوداء لا يحس بردا رغم الشتاء القارس ولا بللا رغم الأمطار الغزيرة التي كانت تهطل بلا انقطاع كان غارقا في همومه لا يكاد يشعر بشيء مما حوله وما انتبه إلا ويد حنون يعرف ملمسها جيدا تأخذه وتدخل به منزله.

- أيرضيك ياسي عبد الحليم هذا الذي فعلته بي؟
- انه لا يرضيني ولا يرضي أحدا ولكننا نحتاج أحيانا أن نمشي في الظلام لنصل إلى الضوء.
- لقد أحببتها .

- أعلم هذا،، فبالرغم أننا لا نجد الحب أبدا مع شدة بحثنا المضني عنه إلا أن هذا لا يعني أنه غير موجود.
- لقد أعطيتها كل شيء ثقتي وحبي ومالي وسمعتي فألقت بها في مكب النفايات وألبستني عارا إلى الأبد، ومرعي ابني الصغير البريء ما ذنبه لتكون هذه الغادرة أمه.. ليست هذه هي الحياة التي كنت أحلم لنفسي بها .
- لا عليك فالأحلام كالناس تخاف وتطمع وتموت.
- وماذا أفعل؟

فتنهد سي عبد الحليم وقام ليخرج من الباب مستغلا توقف المطر ويقول: يصبح الوجه نظيفا من الدموع عندما تنزل عليه قطرات دموع السماء.

{} الموتى لا ينامون أبدا.

- لقد جعل أبوك الأمر بيدك وقال انه لن يعط كلمة إلا بعد موافقتك، ومرعي شاب طيب وفيه كل الصفات المطلوبة للزواج، وأنت حتى الآن لم تقرري بعد والناس أكلوا وجوهنا وهم يسألون،،، لماذا كل هذا التأخير؟

لو كنت أنا لوافقت من الدقيقة الأولى ولكنك الأخت الكبرى ومن الضروري أن تتزوجي أولا حسب القوانين ونحن لنا ربي.

- أنا عارفه ان مرعي شاب كويس استطاع أن يشق طريقه في الحياة بكل نجاح رغم وفاة والده باكرا وله دخله الممتاز من وظيفته ومنزله الكبير المستقل الذي يعيش فيه لوحده بعد وفاة أمه الله يرحمها، ولكن القلب له أحكامه وأنت يا ظالمة تعرفين موضوعي منذ أول يوم فكيف أتزوج غيره،، كيف؟
- ولكنه متزوج وعنده أولاد،،، صدقيني انه يتلاعب بك ويخدعك فلا تدعي فرصة الزواج من مرعي تضيع من بين يديك،، لو كان يريد الزواج بك حقيقة كما تقولين لطلبك منذ سنين فالعلاقة بينكما كانت قبل أن يتزوج بسنوات عدة.
- لقد وعدني بل أقسم لي بأغلظ الايمان أنه سيطلقها حالما تسمح ظروفه بذلك، ليتك رأيت وجهه بقسماته الجميلة ونظراته اللطيفة وهو يتألم ويقول لي بكل تضحية انه لا يستطيع أن يقف في طريق زواجي من مرعي بل يشجعني عليه كما أنه متأكد من أن حبنا سينتصر في النهاية وسنتزوج رغم كل العراقيل بكل تأكيد.

- انت حرة أنا نصحتك وأنت على كيفك على كل حال سي عبد الحليم أرسل يطلب جوابا من أبي.
- سي عبد الحليم سمعت أنه تكلم حتى مع أمي في الموضوع هل علمت ما دار بينهما تحديدا.
- رأيتهما يتحادثان تحت التوتة فاقتربت منهما مظهرة أنني أريد سقاية البقرة ولكنهما انتبها لي فتوقفا عن الكلام وقام سي عبد الحليم وتركها وهو يقول: الموتى لا ينامون أبدا.
- وماذا يعني؟
- دعك منه،، هذا الرجل معقد وكل كلامه معاني ورموز، لو كان يعينوه في التلفزيون يؤلف الألغاز والمسابقات فلن يفز أي مشاهد حتى ببيضة دجاجة.

مصطفى محمود ،، إيمان بلا شك

كانت مفاجأة لها وقع الصاعقة حزينة غير سارة أن تطالعنا الأخبار بأن ذلك القلم السيال والعلم المهطال د . مصطفي محمود غادر دنيانا عند الساعة السابعة والنصف من صباح السبت 31/ 10/ 2009م عن عمر ناهز 88 عاما.
لقد حرك هذا الخبر الوجدان والأشجان وجرني مجبرا إلى النظر بمنتهى التأني للنظر والتأمل في جذور ضربت وفروع بسقت وثمار ذات زمن أغدقت.
لا يستطيع المراقب اليوم للساحة العربية الثقافية إلا أن يعجب من وفرة إمكانياتها التكنولوجية والمادية وفقر انتاجها وفقدان تأثيرها ويأخذه الأسف لخلوها من أسماء ورموز يشار إليها ومحطات يتوقف عندها ومبادئ ومدارس يخوض في بحوثها وفكرها، الحال الثقافي العربي اليوم للأسف مابين كتاب وصحافة ومسرح وموسيقى وفنون كثير وغزير ولكنه بلا لون ولا طعم ولا رائحة.

إننا إذا ما قارنا حال اليوم بما فيه من بحبوحة العيش ورخاء الظروف عموما بتلك الظروف المؤلمة العصيبة التي عاشتها البلاد العربية وهي ترزح تحت استعمارات أوروبية مختلفة تقطع الرؤوس وتكمم الأفواه وتدوس بصلف على الأرزاق والأعناق، ايطاليا تجثم بكلكلها على ليبيا، وفرنسا واسبانيا تعيثان في المغرب فسادا، وفرنسا منفردة بالجزائر وتونس والشام، وبريطانيا تبيع فلسطين وتخنق مصر وتقمع السودان وتنكل بالعراق والخليج الذي تشاركها في بعضه هولندا، والعرب أمة مستعمرة فقيرة جائعة تفتقر إلى كل شيء المدارس والصناعة والمستشفيات والبنى التحتية وكل شيء ولا وجود فيها إلا للعوز والفقر والفاقة فلا بترول يصدر ولا إنتاج تستفيد منه ولا حول لها ولا قوة وما عليها إلا أن تسخر كل أرضها وإنسانها للأجنبي الضارب بأطنابه على أركانها وأكمامها يمص دمها كأنه أسطورة دراكولا.
ولكننا قبالة كل هذه الظروف السلبية والتربة الطاردة سنجد نهضة ثقافية عربية أصيلة تنموا في مصر قوية صلبة لتفرض وجودها واحترامها على عصرها وإلى يومنا تمثلت في طائفة من الكتاب والمفكرين والأدباء ممن يمكن لنا أن نحسبهم روادا في المدارس الأدبية العربية المعاصرة وعلامات بارزة في مجال الأفكار العديدة التي اعتنقوها، مع الأخذ بالاعتبار أن أوائل القرن العشرين كان فيه الإلحاد هو التيار الثقافي الأشهر مما ترك بصماته على بعض وليس كل من سنذكرهم، منهم:

هيكل صاحب رواية زينب وهو غير محمد حسنين هيكل الصحفي المعاصر، مصطفى العقاد، طه حسين صاحب كتاب {في الشعر الجاهلي} بما فيه من مرفوضات دينية، الرافعي، مصطفى لطفي المنفلوطي، نجيب محفوظ، محمد عبد الحليم عبد الله، محمد فريد أبو حديد، توفيق الحكيم .

للحقيقة لم تكن الساحة العربية وحدها هي التي تموج بهذه التغيرات المفصليه بل كل العالم كان يموج منذ انجلاء الحرب العالمية الأولى بأفكار ونظريات وآراء ومعسكرات سياسية واقتصادية وفكرية وثقافية وموجات من التشكيك والإلحاد تغزو العقول وتحارب المعتقدات أنتجت الشيوعية الملحدة شرقا واللادينية الأوروبية غربا، وقد كان من الطبيعي أن تجد لها صدى مؤثرا في الفكر العربي فكان أن ظهرت على السطح أقلام ذات أفكار محض وجودية صرفة مثلها:

أنيس منصور، وإحسان عبد القدوس، وإسماعيل أدهم صاحب المقالة الصحفية الشهيرة {لماذا أنا ملحد؟}، ومصطفى محمود الذي هو موضوع حديثي.

ولد مصطفى محمود في المنوفية سنة 1921م وتلقى تعليمه الأول في طنطا مجاورا مسجد سيدي أحمد البدوي الأمر الذي سنجده يترك أثره الواضح صوفيا على أفكاره وتوجهاته في خاتمة سيره بأخذه للطريقة الصوفية النقشبندية ثم درس الطب في القاهرة و لكنه تركه ليعمل في الصحافة مفضلا صحفا ومجلات ذات توجه يساري واضح يتزامن بل يتكامل مع سيطرة الفكر المادي السائد في الستينيات وانتشار الفلسفة الوجودية على يد الفرنسيين جان بول سارتر ومدام سيمون دي بورفوار .

وتتشعب دراسات د.مصطفى محمود لتواكب معاناته الفكرية والبحثية وبصراحة تامة وشجاعة أبطال الأساطير الخالدين كان يكتب كل شيء كل خاطرة وشاردة وواردة ورأي ورد وينشره على الملأ لقد كان ينسخ ذاته وجودا وفكرا وتطورا على صفحات كتبه، نحن لم نكن نشتري من أرفف المكتبة كتابا لمصطفى محمود صدر حديثا بل كنا نشتري مصطفى محمود نفسه بشحمه ولحمه في آخر طبعة له هكذا كان الأمر يبدو لي ولا يزال.

يصف د . مصطفى محمود معاناته تلك الفترة فيقول: احتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب، وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل مع النفس، وتقليب الفكر على كل وجه لأقطع الطرق الشائكة، من الله والإنسان إلى لغز الحياة والموت، إلى ما أكتب اليوم على درب اليقين.ا.هـ.

نستطيع أن نؤرخ ثقافيا لمنعطف تاريخي هام جدا ابتدأ يظهر منذ سنة 1969م تقريبا معلنا

عودة الفكر العربي الصحفي النشط الملتزم إلى أصوله وجذوره بعد رحلة غربة استغرقت ما يزيد عن نصف قرن ويكون الدكتور مصطفى محمود على موعد معه بل من علاماته فتجده يترجم هذا التوجه الجديد القديم سنة 1979م بشراء قطعة أرض بحي المهندسين بالقاهرة من عائدات كتابه المستحيل لينشئ بها جامع محمود نسبة لأبيه وإن كان اشتهر باسم جامع مصطفى محمود ويؤسس به ثلاثة مراكز طبية لعلاج ذوي الدخل المحدود ومستشفى وأربع مراصد فلكية ومتحفا جيولوجيا متاحة كلها للباحثين والدارسين، ويشكل قوافل الرحمة التي تتكون من 16 طبيبًا لعلاج المحتاجين من فقراء ومعوزين في أماكنهم.

لقد تعرفت علي هذا العملاق المفكر والطبيب والكاتب والأديب منذ أن كنت تلميذا في الإعدادية إذ كنت أتابع كل إصداراته التي بلغت 89 كتابا ما استطعت فلم أترك بحمد الله ولا كتاب منها بأسلوبه المتميز بالعمق واليسر إلا وقرأته، جل مؤلفاته قرأتها ودرستها العلمية والدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والحكايات والمسرحيات وقصص الرحلات وكتب الخيال العلمي والوجودية والإلحادية، خصوصا ما ناقش الوجودية والإلحادية منها ككتب:

رحلتي من الشك إلى الإيمان، وحوار مع صديقي الملحد، والماركسية والإسلام، ولماذا رفضت الماركسية، وأكذوبة اليسار الإسلامي، ثم تلك الدفقات الإيمانية العطرة ككتاب القرآن محاولة لفهم عصري، والطريق إلى الكعبة، والإسلام ماهو؟ ورأيت الله، والسر الأعظم، ومن أسرار القرآن التي ختم بها رحلته الطويلة من الشك إلى الإيمان التي استغرقت عمره كله ولم يجد في النهاية سفينة نجاة سوى القرآن الكريم، وإن كان ليس المسافر الوحيد على متنها فقد ارتحل معه يراقبه ويتعلم منه جيل كامل من أمة العرب كنت أحدهم.

وحيث أن القنوات الفضائية الساتلايت لم تكن قد ظهرت بعد ولم تكن متاحة إلا قناة التلفزيون الليبي التي كانت تحرص على بث برنامجه الشهير {**العلم والإيمان**} فقد زاد هذا من معرفتنا بالرجل والنظر إليه عن كثب لقد كنا نستمتع بما يقدمه كل الاستمتاع ونستفيد منه علما وإيمانا تماما كما أسماه صاحبه، ورغم أنني لم أر كل الأربعمائة حلقة التي سجلت من هذا البرنامج الكبير إلا أنني حرصت على مشاهدة ما أمكنني منها .

لماذا،،، لأنني كنت أراه يفتتح عبر برنامجه هذا عصرا جديدا يمكننا أن نسميه عصر التفسير العلمي التجريبي المتغير للنص الديني المعصوم الثابت ببحثهما معا مستفيدا من

المخترعات والاكتشافات العلمية ورغم أن جمعيات قامت على هذه الفكرة تحت عنوان الإعجاز العلمي للقرآن الكريم إلا أن الرجل سبقها بزمن ووفق دونها إلى حد بعيد.
كان أول لقاء شخصي لي به في يوم الاربعاء 1995/12/20م في حفل عشاء أقامته الطريقة العزمية في مقرها بشارع مجلس الشعب بالقاهرة لقد رأيته يومها يعاني من الآم المرض يستعمل وسادة دائرية فارغة الوسط على شكل كعكة توضع له فوق الكرسي ليجلس فوقها ومع كل هذا الإعياء البدني الظاهر لم يتوان عن تقديم محاضرة مختصرة رائعة تتكلم عن قيم التوحيد وأثرها في الأفراد والأمم اهتز لها الحاضرون اكبارا وإعجابا.
وكم كنت سعيدا وهو يقدم لي شخصيا بيده الكريمة جائزة الإمام المجدد محمد ماضي أبو العزايم التي منحت ذلك العام لبعض رواد العمل الإسلامي كنت بفضل الله أنا وهو من ضمنهم.
ثم ألقى الشيخ علاء الدين أبو العزائم كلمته، ثم ألقيت كلمتي التي كانت عن بعض جوانب إعجاز القرآن الكريم، وتكلم الصحفي رائد عطار، والأديب رفعت دنقل عضو مجلس الشعب المصري وابن عم الشاعر الكبير أمل دنقل، والصحفي صلاح عزام رئيس تحرير الأمة العربية، والصحفي أحمد بهجت، والداعية عبد الودود شلبي، ود. منصور حسب النبي رئيس جمعية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والداعية د. عبله الكحلاوي ابنة محمد الكحلاوي مادح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و مخرج الأفلام والمسلسلات الإسلامية أحمد طنطاوي، كان الموضوع الذي تكلم فيه الجميع هو ذلك العطاء العظيم في قيم الإسلام العظمى الذي يوجب علينا أمانة أن نوصله إلى أصقاع المعمورة ليعمها خيرا ونفعا.
لم أقل له يومها ولا بعدها شيئا عن جدالات وحوارات ومعارك فكرية كثيرا ما خضتها لأجله أما الآن وقد انتقل إلى رحمة ربه فلا أخفي أنني كثيرا ما كنت أعجب من بعض من ينتقدونه قائلين باستعلاء لقد كان ملحدا ثم صار كذا ثم صار كذا وكنت أجيبهم بقولي:
لا ينبغي لأحد أن ينتقد رجلا لأنه لعب بدمية يوما عندما كان صغيرا أو كسر قلم رصاص في مدرسته الابتدائية إن الذم إنما يوجه لمن انتكس بعد علو لا لمن ارتفع بعد سفل بمعنى أن يرتد بعد الإيمان أو يجهل بعد علم ولكننا أمام رجل ارتقى وارتفع إلى ذروة بعد حضيض فواجبنا إجلاله وتقديره.
طالما قلت عنه: لقد كانت كتاباته صادقة تعبر عن ذاته ومعاناته الشخصية كإنسان ولهذا كانت اراؤه الدينية محترمة عندي محل تقديري واحترامي لأنني أراها اراء الإنسان العالم وليست اراء العالم الإنسان وشتان بينهما.

وأقول ان كل الكبار تعرضوا للانتقادات والانتقاصات ولكن {**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ** – الرعد 17}.

اتهمه بعض السياسيين بأنّ أفكاره وآراءه السياسية متضاربة واتهمه بعض الفقهاء بأنه غير متخصص في علوم الدين؛ إلا أن كلاهم لم يفهموا - في نظري - حقيقة الرجل الذي كانت اعترافاته على صفحات كتبه أسمى ضروب الشجاعة وأنبل مظاهر مواجهة النفس ونقد الذات، وليت كل من أمسك القلم كانت له شجاعته واعترف بخطئه بلا غرور ولا مكابرة ليرجع من اعتنق رأيه إلى الصواب.

وأقول: يوم تحاكم الأمة صاحب الفكر المستنير الفذ ويهدد بالسجن كأنه مجرم زنيم فقل: على الدنيا السلام هذا هو حكمي عليك يا أمة قدمت د. مصطفي محمود للمحاكمة بسبب كتابه (الله والإنسان) بل ويصل الأمر إلى أن يطلب عبد الناصر بنفسه تقديمه للمحاكمة استجابة لطلب الأزهر باعتبارها قضية كفر وتكتفي المحكمة الوصمة في جبين الأمة بمصادرة الكتاب، ولأن الفكر النير يأبى إلا أن يشع رغم القيود والجحود فإن الرئيس السادات يتصل فيما بعد بد. مصطفى محمود شخصيا ليقول له: أنه معجب بالكتاب وأنه قرر إعادة طبعه، بل يعرض عليه تولى الوزارة فيرفض الرجل لأن العلم عطاء وحرية وانطلاق والسياسة مصالح وقيود.

وتصل الحرب إلى ذروتها بعد اصداره كتاب الشفاعة ورغم أنني أخالفه الرأي بزاوية 90 درجة وأقول وأعتقد في شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكل تفاصيلها إلا أنني رفضت الحرب الضروس التي أعلنت عليه لتصل إلى إصدار 14 كتابا للرد عليه فضلا عما كتب في الصحف والمجلات كنت أراه رأيا ليس معصوما يجب مناقشته بهدوء وإنصاف لا بالسب واللعن والشتم والسلخ والتكفير وحيا الله الدكتور المفتي نصر فريد واصل الذي أنصفه في تلك المعمعة وقال:

د. مصطفى محمود رجل علم وفضل ومشهود له بالفصاحة والفهم وسعة الإطلاع والغيرة على الإسلام فما أكثر المواقف التي أشهر قلمه فيها للدفاع عن الإسلام والمسلمين والذود عن حياض الدين وكم عمل على تنقية الشريعة الإسلاميّة من الشوائب التي علقت بها وشهدت له المحافل التي صال فيها وجال دفاعا عن الدين.ا.هـ

لقد كان مؤلما لنا أشد الإيلام أن يعتزل هذا العملاق الكتابة بعد هذا الجحود والعقوق الذي طاله بعد كتابه عن الشفاعة من أمة طالما أغدق عليها خالص وداده فهجر الناس وانتهى به الأمر أن أصيب بجلطة في مخه عام 2003م وليعيش منعزلا وحيدا يعاني المرض

والسرطان مابين منزله الملاصق لمسجده أو غرفة على سطح المسجد نفسه، وشيع جثمانه من مسجده، وترك وراءه ثروة طائلة من البحث العميق والفكر الأصيل ستستغرق وقتا طويلا قبل أن تصل إلى كل مستحقيها من وراثه.

هلم،،، أعرفك بهم

أحب لك أن تحرر بصرك من القيود ليمتد خارج دائرة زمانك ومكانك فتكتشف قدرته الفائقة على رؤية الأمس واليوم والغد، فعندما فعلت أنا ذلك أحببت كثيرين وأجللتهم مقتنعا مؤمنا بصدق عواطفي نحوهم، وأدعوك للتعرف ببعضهم.

============

الكونت ليو تولستوى.

عبقري روسي علامة في تاريخ الأديان أديب وكاتب عالمي يردد ملايين الملايين اسمه ومؤلفاته التي بشر فيها بالحرية والعدل ونبذ العنف والحب لكل الناس وفتح أبواب العلم والتعلم بلا حدود، ومن يجهل تولستوي؟

وتلك الرواية الخالدة {أنا كارنينا} المنددة بالحروب وسياساتها لا تسألني عن انبهاري بها وقد قرأتها لأول مرة وأنا صبي في الاعدادية، ورواية الحرب والسلام وهي أشهر أعماله، ورواية حاج مراد وفيها اعظامه الشديد للإسلام وإعجابه الكبير به، وأعمال أخرى مبدعة عديدة.

وقد كان من الطبيعي جدا أن يزهد رجل بمستواه الثقافي والعلمي وعبقريته ونبوغه في ترهات المسيحية وهرطقاتها وأن الله سبحانه ابنا يشاركه في ملكه قتل ليخلص العالم من خطيئة لم يقترفوها وإنما ارتكبها آدم جدهم بزعمهم، فهجر تولستوى الكنائس رافضا زيارتها ساخرا منها حيث كان يسميها المسارح ويتندر بملابس الرهبان الباهظة الثمن المرصعة بالذهب وترديدهم للخرافات والأساطير، ثم جاءت الساعة التي غيرت حياته كلها حيث ترك المسيحية لدين الإسلام الحنيف دين الله الواحد الأحد الذي يحترم الإنسان ويحترمه الإنسان.

وعاش بسبب إسلامه حياة سوداء نكداء مع (كونتيسا) زوجته الأرثوذكسية المسيحية المتعصبة التي كانت تُشهر به وبأسلوبه البسيط في الحياة لا تدع مجمعا اجتماعيا أو حفلا أو مناسبة إلا وخاضت فيه بألسنة حداد وفي سيرته حاضرا كان أو غائبا، مما اضطره أخيرا للفرار من منزله وقد ناهز الثانية والثمانين من عمره في ليلة باردة ممطرة هربا من لسانها وشقائها ونكدها الذي لا ينقطع ليُعثر عليه ميتا سنة 1910م وهو الرجل الثري الوجيه في محطة قطارات كأي متشرد منبوذ، ولكنهم وجدوا في جيبه رسالة إلى ابنه الأصغر ميخائيل الذي كان يجل ويحب والده بشدة ويعتقد كل ارائه وأفكاره بل كثيرا ما كان يتصدى لأمه

ليوقفها عن النيل من أبيه ثم حملها بعد جريرة ميتته التعسة، يقول تولستوي في رسالته لابنه:
لا تنخدعوا بما يقوله أعداء الإسلام عن الإسلام فهو الدين الأقرب إلى العقل المنطقي وانشروا روايتي {حاج مراد}، وعلى جميع أولادي الذين ربيتهم على الايمان بالحرية وحب العلم وعدم كراهية الإسلام والمسلمين أن يسيروا على هديي في حياتي من كراهيتي للخمر والقمار واللهو الماجن، وألا يأذنوا لأمهم بإلقاء نظرة الوداع الاخيرة على جثماني.
وتوفي ابنه ميخائيل في المغرب سنة 1944م وقد ناهز الثمانين من عمره، ربما تلبية لأمنية والده الكبير الذي كان كثيرا ما يسمعه يحلم بالعيش في بلد مسلم.

عمر الخيام

هو شاعر وعالم رياضيات وعالم فلك وأديب وفيلسوف فارسي فذ توفى منذ 900 عام تقريبا أى في سنة 1122م ومنذ ذلك الحين ما ذُكر إلا وذكرت معه رباعياته الخالدة التي عُرف بها وعُرفت به، ورغم أهميتها وبراعة نظمها ودقة تصويرها لصراع الإنسان الأزلي بين آرائه ومعتقداته من جهة وسنن الكون ونواميسه من جهة أخرى إلا أنها ظلت مجهولة عند غير كبار المثقفين من الفرس والعرب وسواهم إلى سنة 1857م حيث ترجمها الشاعر الانجليزي (ادوارد فيتزاجيرالد) إلى الإنجليزية، ولعلك تستغرب إذا ما أخبرتك أن الملكة البريطانية الأم المعمرة أي والدة اليزبيث الملكة الانجليزية الحالية تحفظ منها الكثير باللغة الفارسية، كما ترجمت إلى الفرنسية والاسبانية وسواها من لغات العالم.
أما عندنا نحن العرب فإنها لم تظهر بلغتنا وحروفنا إلا سنة 1901م على يد الأديب أحمد حافظ عوض الذي هو أول من ترجمها إلى العربية وكانت ترجمته لها نثرا لا شعرا، ثم توالت ترجماتها العربية عن الفارسية مباشرة أو اللغات الأخرى أو حتى إعادة صياغتها عن ترجمة عربية سابقة حتى وصلت الآن إلى 58 ترجمة مابين نثر أو شعر فصيح وحتى عامي أحيانا كالشاعر المصرى أحمد سليمان حجاب الذي أقتطفُ من مطلع ترجمته لها قوله:

سمعت صوت في السحر ،،، بينادى عالنايمين
بيصحي أهل الهوى،،، وينبه الغافلين،،، وأهل العقول عارفين

والشاعر الليبى حماد شعيب رحمه الله الذي أقتطفُ من مطلع ترجمته لها قوله:

قيس المليسه سمعت صوت ينادي من غيب ثوروا ياغافلين النادي

....

صوتا قال	العمـــر عـــدا وانـــت رقـــودك طـــال
بكـره فـي علـم الغيـب كـان تسـال	واليــوم فيـدك وانـت مغيـر اتحـادى
وعطشـــان ديمـــا تبـــات عالمنهـــال	والبيـــر جنبـك والـدلو منـك غـادى

معانى بعض الكلمات حسب لسان بدو برقه:

قيس عند، والمليسه ما قبل الفجر، وثوروا استيقظوا، والنادي السريرة، واتحادي أي لا تتخذ موقفا حازما، والمنهال مورد الماء.

ويقينى أنها ستترجم عربيا مرات ومرات أخرى لأنها عمل إنساني بديع قلما يجود القدر بمثله إلا كل فين وفين.

فى سنة 1924م ترجمها الشاعر أحمد رامي عن اللغة الفارسية التي كان يتكلمها بحكم عمله لفترة في إيران كما سمعته يقول مرة في لقاء إذاعى مسموع معه إلى العربية بل سمعته يلقيها في ذلك اللقاء بلغتها الفارسية الأصل، ثم غنتها له أم كلثوم لأول مرة سنة 1949م بعد أن غيرت العديد من معانيها الفلسفية وألفاظها الجدلية ولقي تصرفها في القصيدة هذا تأييدا من قبل البعض ورفضا من قبل آخرين، ومنها انطلقت شهرتها عند العرب شعبيا وليتك تقرأ ترجمتها بقلم الأديب العربى الكبير جميل صدقى الزهاوي لترى كم هي رائعة فعلا، أما أدق نقل لها حتى الآن من ناحية اللفظ والمعنى فهو في ترجمة الأديب العراقى الكبير أحمد الصافي النجفي لها بسبب اتقانه للغة الفارسية الذي مهر فيها إلى درجة فاقت بعض أهل اللسان الفارسي أنفسهم حتى تولى عن جدارة منصب رئيس نادي الأدب الفارسي، وإن كان هذا لا يعني تجاوز ترجمات رائعة بمعنى الكلمة لها لأدباء عرب عمالقة كبار منهم أحمد زكي أبو شادي، وإبراهيم المازني، ووديع البستاني، أما معارضات رباعيات الخيام الشعرية والنثرية فربما نتناولها بتفصيل مرة أخرى إن شاء الله.

فيتوريو ايمانويلى الثالث

نعم،، كانت معظم ايطاليا ذات يوم دولة مسلمة من إقليم صقلية إلى كورسيكا وجزيرة سردينيا ومدن بريندزي وباري ونابولي وذلك لمدة 263 عاما، ولكننا نتكلم عن حقبة سوداء من التاريخ ابتدأت سنة 1911م واستمرت لمدة 30 عاما متصلة قامت خلالها الدولة الايطالية باستعمار ليبيا وارتكاب أفظع الجرائم في حقها وحق مواطنيها الآمنين

الأبرياء خصوصا بوصول موسوليني وحزبه الفاشيستي إلى السلطة، أما ملك البلاد فقد كان له موقف مغاير.
إنه رجل مسلم اضطره منصبه وظروف كثيرة تحتاج كتابا مطولا لشرحها لا مقالا صحفيا مختصرا إلى أن يكتم إيمانه إنه الملك فيتوريو ايمانويلى الثالث ملك ايطاليا وليبيا والحبشة، وكان قد زار مصر سنة 1890م وهو ولي للعهد وفيها ظهر عليه اهتمام كبير بالإسلام وشريعته وحرامه وحلاله، وفي سنة 1891م اشترى في لندن كتاب سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم {محمد والإسلام} لمؤلفه الانجليزى السير وليم ماير ونطق بالشهادتين المشرفتين ثم مهر بيده على أولى صفحاته توقيعه الخاص وكلمتي الشهادة (أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) ، ثم ترجمهما إلى الايطالية وترجم معهما اسمه بالحرف العربي فكتبه هكذا {المنصور عبد الله} وهي الترجمة الحرفية للاسم الايطالى فيتوريو ايمانويلى، ثم ألحقه بلقب (الحاج الأمير الايطالي) ، وكان إضافة إلى ذلك كثيرا ما يستدعي إلى قصره قبل وبعد توليه العرش ابن عمه المستشرق الايطالى الكبير الأمير ليوني كاتاني صاحب كتاب {حوليات الإسلام} ويحاوره عن الإسلام وتاريخه.
يقول الكاتب الايطالى اتيليو سيرا في يومياته: كنت أعلم باهتمام الملك بالدين الإسلامي من حرصه على قراءة كل ما ينشر عنه بالايطالية والفرنسية والانجليزية ا.هـ.
ويعد الملك فيتوريو ايمانويلى الثالث من أوائل زعماء أوروبا الحديثة اهتماما بالإسلام في وقت كان الجميع يناصب الإسلام العداء ويعلن عليه الحرب شعواء لا هوادة فيها.
وفى سنة 1909م أي قبل احتلال ليبيا بعامين أعرب رسميا عند استقباله لوفد من احدى الدول الإسلامية عن فكرة لازمته منذ توليه العرش بأن يُعامل الدين الإسلامي في ايطاليا معاملة الأديان الأخرى ودعا إلى تشييد مسجد في روما وهي التي كانت خالية تماما من أي مسجد وقتها.
ووفق القانون الايطالى لم تكن للإمبراطور أي صلاحيات سياسية أو اقتصادية ولا علاقة له بسياسة البلاد التي يديرها رئيس الدولة.
فتناقلت الصحف ووكالات الأنباء وقتها كحدث فريد عجيب من ملك دولة تقدم نفسها عاصمة المسيحية وتحتضن عاصمتها روما الفاتيكان قوله: الصواب أن تكون معاملة الإسلام كما تُعامل الأديان الأخرى في ايطاليا وأن يكون لهم مسجد يتعبدون فيه يشيد على هضبة عالية مرتفعة في روما.

وفى سنة 1938 م قدم الملك فيتوريو ايمانويلى الثالث إلى ليبيا في زيارة رسمية زار خلالها معظم المدن الساحلية من الغرب إلى الشرق، وحرص خلالها على زيارة المعالم الإسلامية الهامة بالبلاد وتفضلت يده مشكورة مثابة ان شاء الله بإعانات مادية ومعنوية ومواساة لليبيين حيثما حل وهدايا عينية للمساجد والمنشآت الدينية.

تاريخك الجميل القابع في متاحفهم

ليتك يا آثارنا وليتك يا تاريخنا سرقك الاخرون منا إذا لحافظوا عليك حتى نعرف قيمتك يوما ونستعيدك، بدلا مما تعانيه اليوم من إهمال وتلف وإتلاف.

=============

لا أريد أن أحدثك عن المجاري الفائضة عندنا في أثار لبده العالمية ولا من مجيب، ولا عن البقر يمرح جذلا سعيد في آثار شحات الخالدة والماعز الذي يتسلق معالمها ولا من يهتم، ولا عن فضيحة فقر وتخلف وبؤس منشاتنا السياحية ومتاحفنا على قلتها مقارنة بغيرنا بما في ذلك حتى مالطا التي لا تزيد كل مساحتها عن مدينة بنغازى وبها 11 متحفا فضلا عن عشرات المؤسسات التاريخية السياحية، ولا عما أجرمته في حقنا الجهة المسؤولة عن الآثار والسياحة عندنا بأسمائها المتعاقبة الكثيرة الخالية من كل معانيها من أمانة إلى هيأة إلى تنشيط الخ الخ،،،، أمناء - مع الاعتذار لكلمة أمين التي هي صفة الأنبياء والصالحين - وموظفين وفنيين إلى آخر طابور المصعدين والموظفين فحسابهم عند الله وعند هذا الشعب عسير فكل هذا سيمرضك وينغص عليك صفوك وإنما سأذكر لك تاريخا لك جميلا وقع في يد من عرفوا قيمته فاحترموه وحافظوا عليه ولو بقي عندنا لأكله البقر وأفسده البشر أو وقع تحت مسؤولية الهيأة العامة للسياحة فكانت المصيبة أدهى وأمر.

محمد الكبير لياس.

نزاع عائلي دموي شديد انتهى بقتل يوسف باشا لأخيه واغتصابه كرسي الحكم من اخوته وفرار أخيه أحمد بك إلى مصر وفيها اتخذه الأمريكيون أداة لتنفيذ مآربهم ووعدوه عن طريق سفيرهم وليم ايتون باستعادة عرشه، فانطلق الجيش برا بقيادة أحمد بك وايتون صباح يوم 1805/4/8م من برج العرب غرب الاسكندرية بقليل إلى خليج البمبه بليبيا 60 كم شرق درنه حيث توقف أياما ليتزود بالدعم اللازم من السفينتين الامريكيتين ارغوص وهورنت ومنها شرع في الهجوم على مدينة درنه.

ورغم الوعود والتطمينات التي أرسلها أحمد بك وأيتون لأهل المدينة كي لا يقاوموا الحملة إلا أن السكان وقد قاسوا الأمرين من الظلم والإستبداد القره مانللى وملوا الوعود الكاذبة التي تتبخر بمجرد تمكن المغامر القادم من مدينتهم ورفضهم المطلق للرضوخ لمن هو على غير دينهم وقبلتهم كانوا على يقين انهم لن يروا على أيدي القادمين إلا كل أذى وشر فاجتمعوا في قبة ضريح الصحابى أبى منصور الفارسى وأقسموا على مقاومة العدو

الأمريكي القره ماناللى يدا واحدة، وكان قائد تلك المقاومة الباسلة هو أحد أعيان المدينة ووجهائها المبرزين انه محمد الكبير لياس المنحدر من أسرة تاجورية عريقة هاجرت من تاجوراء إلى درنه وبها أقامت وتملكت وتبوأت المكانة اللائقة.
1805/4/26م حاصر الجيش المكون من ضباط وبحارة أمريكيين ويونان إضافة إلى 2000 جندي عربي من أعوان أحمد بك درنه برا بينما حاصرتها بحرا ثلاث سفن هي ناوتيلس وأرغوص وهورنيت وعلى متونها 38 مدفعا هجوميا كبيرا، وابتدأت الحرب ضروسا فاتكة حارقة للأخضر واليابس حاصدة لأنفس الرجال والعيال، ورغم بطولة المقاومين وعلى رأسهم محمد الكبير لياس وبعد قتال عنيف غير عادل ولا متكافئ سقطت المدينة في يد العدو ووقع ليث المقاومة الكبير محمد الكبير لياس أسيرا في أيدي العدو واقتيد مكبلا بالقيود ومحاطا بالجنود والسيوف إلى ظهر احدى السفن المهاجمة.
ولكن لم يدم الاحتلال بحمد الله تعالى إلا اسبوعا واحدا فقط إذ قدمت نجدة لمساعدة المدينة وهب معهم رجالها الثكلى الجرحى كالأسود الضواري يقاتلون بشراسة من جديد حتى افتكوا مدينتهم من أيدي المحتل الأمريكى القره ماناللى البغيض وحررت المدينة وأطلق سراح رمز مقاومتها الأشم محمد الكبير لياس وقدم اليه بنسائهم وأطفالهم وعيالهم من خارت عزيمتهم من السكان عن مناصرة المقاومة معتذرا فقبل عذرهم وعفى عنهم إلا شرذمة ناصرت المعتدي وآزرته فجازاها بما رآه صوابا.
وتدخلت السياسة وعقد يوسف باشا في طرابلس الذي خاف عواقب عداوة أمريكا مع الأمريكيين صلحا وكالعادة انسحب ايتون من المسرح تاركا حليفهم أحمد بك للضياع والمصير المجهول وهو أسلوبهم المتكرر حتى اليوم وما التجارب العربية المعاصرة منا اليوم ببعيد ولا من متعظ للأسف.
وإذا ما زرت متحف البحرية {المارينز} الأمريكية ستجد خنجرا عربيا معقوفا مزركشا ماضيا معلقا ضمن معروضاته وتحته قد دونت بياناته انه خنجر البطل الليبى الكبير محمد الكبير لياس وثق أنك ستنظر اليه وكلك عزة وافتخار.

درغوث العظيم

وافق يوم 2007/5/27م الأحد وهو عطلة رسمية في مالطا تشمل كل شيء عدا المؤسسات السياحية وأنا أهرع مسرعا نحو:

The Museam Of Fine Arts

أي متحف الفنون الجميلة القابع في طريق نصف النهار مرورا بالطريق الضيقه ثم طريق

الفرن، لا تستغرب هذه الأسماء العربية فكل شيء تاريخي هناك محافظ عليه إلى أقصى درجة بما في ذلك حتى أسماء الشوارع والأزقة أما المدينة القديمة التي يقصدها السواح من كل حدب وصوب بالآلاف والتى لا تزيد مساحتها عن ربع المدينة القديمة بطرابلس فهي كما هي بل أن شوارعها نظيفة صقيلة وأسوارها وكل شيء جميل مرتب موثق بالورقة والقلم منشور في مواقع متخصصة على النت محافظ عليه حتى قفل الباب وعتبته وشبابيك الديار فيها، وإياك ألف ألف مرة أن تقارنها بما فعله الجناة عندنا بالمدن القديمة في طرابلس وبنغازى ومصراته وزليتن ودرنه وسبها وبراك وغات وسواها إذ حولوها إلى أكوام حجارة وتراب تسكنها الثعابين والعقارب أو صارت في أحسن أحوالها ملجأ للأفارقة والغرباء يقتلون كل شيء جميل فيها وفينا ومتاجرا للمخدرات والخمور وأوكارا للفجور.
وبينما أجول في قاعات المتحف إذ بي وجها لوجه مع لوحة كبيرة المقاسات للفنان جوسيبي كال المتوفى سنة 1930م اسمها:

The Death Of Dragut

أي موت درغوث وفيها يظهر البطل درغوث ريس العظيم مصابا وحوله رجاله وكلهم تأثر وألم لأصابته، كانت لوحة فنية رائعة وإن ظهر فيها جليا مقدار تأثرهم بحرب درغوث معهم وطرده صحبة مراد آغا لفرسان القديس يوحنا سنة 1551م من طرابلس إلى مالطا، وفرحهم بالخلاص منه ولا غرو فقلما يعكس العمل الفنى غير حقيقة صاحبه وبيئته ومشاعره، وستجد بمالطا أيضا درع درغوث وخنجره في متحف السلاح، أما المكان الذي أصيب به على أسوار فاليتا فاسمه الآن راس درغوث.

<u>ترى من هو درغوث؟</u>

إنه ثاني الولاة العثمانيين في ليبيا وهو أسد هصور كانت تهتز لزئيره عروش أوروبا وتيجانها مجاهد حكم ليبيا خلفا لمراد آغا منذ 1553م إلى أن استشهد وهو محاصر لفرسان القديس يوحنا في مالطا سنة 1565م إذ أصابته في رأسه شظية صخرية نتجت عن قنبلة مدفع فسقط أرضا وأوصى بأن يدفن في مسجده الذي بناه في مدينة طرابلس التي أحبها من كل قلبه ودعا لها بدعوة صالحة نسأل الله دوام اجابتها قائلا: اللهم بجاه ملائكة السموات السبع وبجاه ملائكة الأرضين السبع أن تجعل كل من حفر فيها حفرة يكون رأسه مغلاقها، وهكذا حمل جسده الطاهر من ميدان الجهاد المقدس لتتشرف به ربوع ليبيا.
لم يكن حاكما ظالما غشوما كجل ولاة الدولة العثمانية وإنما كان استثناء فريدا فهو رجل عادل فاضل اهتم برقي البلاد وعمرانها ونظمها إداريا وأنشأ الحمامات العامة وقوى الجيش

وحصن الشواطئ الليبية وفك أسرى المسلمين في جربه والجزائر وبنى بطرابلس مسجده الذي أصبح بعده مجلس شورى الليبيين يجتمعون فيه للتشاور والتخطيط، وقد شهد عصره تطورا عمرانيا كبيرا، وكان رضا ليبيا في عهده غاية أماني ملوك وسلاطين أوروبا، ووجوده شوكة في خواصرهم تقض مضاجعهم.
ولكوني أعرف تاريخه ومناقبه جيدا وما قدمه لليبيا فإنني دائم الثناء عليه وعلى عهده مواظب على زيارته في قبره، ورغم أنني لا أخطب الجمعة في المساجد إلا أنني حريص جدا على خطبة جمعة واحدة في الشهر الثامن من كل عام دأبت على القائها منذ سنة 2003م في مسجده بطرابلس صلة وحبا وإكراما لشخصه العظيم، ولك أن تتصور مقدار فخري واعتزازي وأنا واقف بانبهار شديد أشاهد لوحته.

عبدالله أحمد المغربي

ارتحل وهو في الحادية عشرة من عمره عن بلدته غدامس التي ولد بها سنة 1892م بعد أن قرأ بها القرآن الكريم إلى غريان ومنها إلى طرابلس ثم حاجا إلى بيت الله الحرام وهو صبي في الرابعة عشرة من عمره وبه جاور إلى أن أتم تحصيله العلمي، وهناك تولى التعليم في احدى المدارس الدينية وإلقاء الدروس في الحرم المكي المشرف، ثم ارتحل سنة 1919م إلى ماليزيا ليقيم بها 30 عاما قضاها كلها في خدمتها باذلا أقصى جهده لرفعتها فأصلح طرق وأساليب التعليم الديني بها، وبكاباته الصحفية وخطبه ومواعظه حارب الاعتقادات والممارسات الضالة التي تصدر عن الجهلة والعوام.
كان يتكلم إضافة إلى العربية المالاوية والانجليزية وقد استثمر هذه الثقافة في التصدي للاستعمار البريطاني في ماليزيا حتى انتزع منه استثناء من القيود التي فرضها على نظم التعليم، وأعاد الحياة إلى مدرسة مشهور الإسلامية التي كادت تقفل بسبب الديون المتراكمة عليها ناهيك بجهوده التربوية التعليمية في المدرسة الإدريسية ومدرسة الاميرة ماريه، ثم أسس مدرسة الهُدى التي تعد من أهم وأرقى المدارس الدينية وألحق بها مطبعة لطبع الكتب الإسلامية طبعت مصحفا تولى هو مراجعته واعتماده بعد أن قاد حملة ضد طباعة المصاحف بأخطاء مطبعية، وكان يبعث نوابغ تلاميذه إلى مصر والأزهر والعراق والهند ومكة المكرمة لمواصلة تعليمهم وقد تولت هذه الطلائع وظائف هامة في البلاد عقب رجوعها.
وفى سنة 1922م تابت على يديه اثر حوارات ونقاشات مضنية طائفة إسلامية ضالة اسمها {متهارى} تقول بمذهب التناسخ ثم تابت على يديه أيضا طائفة مسلمة ضالة هي الأخرى

اسمها {لبى اثنين} تربط الايمان برؤية الباري سبحانه في وضح النهار، وأصلح بين القبائل المتخاصمة بعد أن عجزت عن مصالحتها ملوك وسلاطين المالاويين قبله، وتصدى بقوة لحملة تنصير قبائل ساكي المسلمة سنة 1933م، وفي 1934م كان من أوائل مؤسسي جمعية {صحابة فينا مالايا} وكان هو مستشارها وأمينها وجدير بالذكر إنّ تنكر عبد الرحمن أول رئيس لماليزيا بعد استقلالها هو أحد أعضاء هذه الجمعية التي هي نواة جمعية إتحاد ملايو مالايا، كما قاد سنة 1935م حملة لإعانة المنكوبين بمجاعة أصابت المدينة المنورة، كما أسس سنة 1939م على نفقته الخاصة مسابقة سنوية للقرآن الكريم وقد احتضنتها بعده الدولة وهي تقام إلى الآن، وفي سنة 1946م تبوأ مقعد الشرف في اتحاد معلمي المدارس الأهلية الحكومية في ماليزيا إضافة لكرسي الشرف بجمعية كوكب الشرق.

وكما جاء في العدد 158لصحيفة {ورت نقارا} الماليزية الصادرة سنة 1947م فإن مظاهر توديع حاشدة أعدت له عند ارتحاله من ماليزيا للمجاورة في بيت الله الحرام ليتولى القضاء الشرعي بمكة المكرمة إضافة لمهمة الاصلاح بين القبائل والعائلات المتنازعة وتوفي سنة 1975م بمكة المكرمة ودفن بمقبرة المعلا.

وستشعر بمنتهى الفخر والاعتزاز وأنت ترى صوره وترجمته في معاقل التعليم الماليزية وصدور مجالس تلامذته.

وليت اللجنة الشعبية العامة عندنا تصدر قرارات بإطلاق أسماء هؤلاء الأعلام على بعض مؤسساتنا ذات العلاقة فإنهم مفخرة لليبيا بكل معنى الكلمة.

(حولت فرقة غفران للأعمال المسرحية هذه القصة (غريب في المنزل) إلى مسرحية عرضتها بالتعاون مع عدة فرق مسرحية وممثلين على خشبة مسرح الفتح بطرابلس يوم السبت 2007/8/4م.

غريب في المنزل

احذرى خيبة الأمل فإنها تدفع الذي لا صوت له ليتكلم والمكبل بالقيود ليركض ومقصوص الجناح ليحلق عاليا لتحقيق حلما بالسعادة يراوده.

=============

أعد لنفسه فنجان شاي مُر يحب دائما أن يشربه بعد العصر وجلس على وسادة أرضية محتضنا ابنته الصغرى يلاعبها ويقبلها في وسط الشقة يمارس بمص الكوب ببطء إحدى المتع القليلة المتبقية التي تشعره أنه ما يزال إنسانا يحس ويحب ويكره بعد ضغوط العيش اليومية وقسوة مديره وشعوره بأن روتين الفراغ والحضور والانصراف المتكرر بلا نهاية قد سحقه كسلحفاة داستها شاحنة مسرعة لقد باع لهم زهرة عمره بخسا بمقابل تافه وانتظار لترقية كل أربع سنين تزيد مرتبه عشرة دنانير بعد أن تطحن وجوده وصحته عشرة آلاف مرة.

وتدخل هي كعادتها منذ أن عرفها بلا أي تغير يُذكر في مظهرها أو تسريحة شعرها أو لباسها انها هي نفسها لم يتغير فيها شيء سوى أن اختفت منها رشاقة وطيبة وبساطة كانت فيها أول زواجهما وحل محلها ترهل جسمها وعلو صوتها وتغلظ ملامح وجهها وميل متكرر للشجار معه والاستخفاف به، وتعيد على أسماعه موشح كل يوم:

- ليتك مثل باقي الرجال تعمل وتوفر الضروريات ولكنه حظي التعس الذي أوقعني فيك من دون كل الناس على بخلك الشديد وتقتيرك علينا، لا أدري لماذا ابتليت بك؟ وعلى ماذا تزوجتك؟ الإنسان يعيش مرة واحدة وأنت سودت عيشي من دون كل الناس، فمتى أعيش؟
- ولكنني لا أمتلك غير مرتبي من وظيفتي وهناك آلاف مثلي ومثلك قانعون هم وأسرهم حامدون لربهم وقد شرحت لك ذلك مرارا، فلماذا هذه المسلسل المتكرر كل يوم؟

وقبل أن تجيب تأتي ابنتاه، وتصيح به أصغرهما وعلى وجهها آثار مكياج لا يحبه لها وطالما نهاها عنه:

- هل توجد بنت في سني أنا وشقيقتي ترتدي هذه الملابس البخسة إنها متأخرة عن الموضات التي تلبسها زميلاتنا في الجامعة وتشعرنا بالحرج منها، إنها مثل أثاث شقتنا الذي يليق بالمتاحف وشقتنا نفسها في هذا الحي الشعبي التي جعلتنا نشعر بالخجل من ذكر عنواننا لزميلاتنا ونرفض رغباتهن بزيارتنا.
- ويقاطعها: أين كنتن البارحة؟ لقد انتظرتكن حتى الساعة العاشرة مساء ثم نمت ولم تأتيا؟
- أخذنا الإذن من ماما وهي تعلم أننا ذهبنا لحضور فرح صديقتنا.
- ولكن يا بنتي يجب أن أعلم وأن أعرف كيف وأين مشيتن وجئتن وماذا لبستن.
- أيش هذا الكلام، أنا حرة، فيه حاجة اسمها حريتي الشخصية التي لا يتدخل فيها أحد، أنا عندي ثقة في نفسي وفي أخلاقي ولا أسمح لأحد أن يقول عني كلمة واحدة وأنت تعرف هذا ولكنك تغير الموضوع كعادتك .

وينظر اليهن ولا يجيب بشيء فإنه يرى ابنه قادما وهو متحفز للمساهمة في المهرجان الخطابي اليومي الذي تعلموه من أمهم ثم تفوقوا عليها فيه، إنهم أغراب يشاطرونه العيش في منزله وليسوا قط زوجته وأولاده فعلا الذين طالما تمنى في شبابه أن يكونوا، كلا وألف كلا:

- انظر إلى ولد .... اشترى له والده سيارة ويعطيه ما يريد من مال أليس هو أيضا موظف، وأنا أقدر ظروفك ولا أطلب سيارة بل بعض الثياب والنقود ولا أظفر منك إلا بخمسة دنانير أو عشرة بعد الحاح ومشقة ما هذه العيشة السوداء؟

ولأنه يعرف أن الحوار معهم لن يجد نفعا خصوصا وأنه صار يزداد اقتناعا كلما تفكر في حاله بأنه ليس أكثر من حمار ببرذعة سميكة وأذنين طويلتين وجد ليتحمل أثقال الوظيفة ويأتي منها بالمال لينفقه على زوجته وأولاده مقابل ربطة صفصفة ثلقى اليه على مضض، متنقلا طوال الأسبوع من سوق إلى آخر يحمل البصل والبيض والطماطم والثياب ثم ليعود بها مجددا وقد تغير حالها ليلقيها في برميل الزبالة العمومي .

وهرب من نشرة التذمر اليومية كعادته بالخروج من الشقة فشرب ما تبقى في كوب الشاي على عجل وقبّل صغيرته وخرج إلى الشارع، وكعادته صلى العشاء في المسجد وعاد إلى المنزل ليتناول عشاءه وينام بعد أن حظي ببعض المسرة من التلفزيون كدرها نزاعهم معه على قنواته كل يريد واحدة ويرفض الأخرى، ونام بعمق ليستيقظ في الصباح سعيدا بشوشا

بشكل ملفت للنظر ويخرج إلى المطبخ ليعد افطاره كعادته، ويراها في المطبخ فيقول والابتسامة تغطي وجهه:

- صباح الخير
- صباح الخير ؛؛؛؛؛ أى خير و ،،

قبل أن تواصل بث فقرات موشح الصباح يعاجلها بقوله:

- اسمعي قررت أن أحل لكم كافة مشاكلكم.
- وكيف يا فالح؟
- قررت أن أطلقك .
- تريحني من وجهك ويتوب الله عليَّ من عشرتك التي ما رأيت فيها إلا التعب والمرار دون شقيقاتي وكل نساء عائلتي.
- اطمئني انتهت أيام تعبك وشقائك لقد ذهبت أمس إلى المحكمة وطلقتك غيابيا، وتركت بخزانتها مؤخر صداقك وكل مستحقاتك الشرعية قِبلي من ثمن سيارتي التي بعتها.

ولأول مرة منذ سنين طويلة يحس في صوتها اهتماما بحديثه ورهبة منه أرضت بعض رجولته المهدرة وهي تصيح: صحيح ؟

- نعم
- والله لو فعلتها لأسودنّ عيشتك وأطردك من الشقة إلى الشارع وأنت تعرف أن القانون في صفي.
- لن تحتاجي لذلك فقد قررت أن أترك لك وللأولاد كل الشقة بل كل المدينة وأنتقل إلى مدينة أخرى لأبدأ فيها حياتي من جديد.
- ماذا تقول؟ أيوجد إنسان عاقل يقول هذا الكلام السخيف؟
- كل ما في الأمر أنني اقتنعت بقولك إن الإنسان يعيش مرة واحدة وقررت ان أعيش هذه المرة الواحدة كباقي خلق الله فأنا إنسان أيضا.
- سأرفع عليك قضية وأخذ كل مرتبك ولا أبقي لك شيئا منه كما فعلت ...... وسأجعلك تترجاني لأطعمك وأسقيك ولن أفعل .
- لن تحتاجي لذلك أيضا فقد شرعت في إجراءات التقاعد الاختيارى وسأتنازل لك عن كل مرتبي لا أريد منه دينارا واحدا تنفقين منه إضافة لمرتبك على كل طلباتك وخصوصياتك وطلبات المنزل كله لك حلال عليك لا شريك لك فيه، وأنا أعلم أنك لست بخيلة مثلي مما سيجعلك تعيشين في بحبوحة وسعادة مثل كل النساء اللاتي حفظت

منك عن ظهر قلب أخبار سعادتهن مع أزواجهن الذين أنا متأكد أنهم أفضل مني، وسأبحث عن وسيلة اخرى أعيش منها.

فتخبط صدرها بيدها وتصيح وتولول وقد أرعبها أنه يحدثها بهدوء وثقة لم تعهدهما منه ولأنه نفذ كل خطواته بهذه السرية والسرعة، ولكنه يخرج من الشقة ويتركها في حالها، ليعود عند الظهر، فيجدها هي وأبناؤه في انتظاره، ويقول له ابنه:

- بابا أصحيح ما قالت أمي، هل يترك الأب أبناءه؟

ويستغرب كلمة بابا فإنهم يطلقون عليه اسماء أخرى مثل الحاج رغم أنه لم يحج والشايب والوالد أما مثل هذه الألفاظ اللطيفة فقد نسيها إلا في استثناءات قليلة عندما يحضر لأحدهم شيئا يحبه أو يلبي له رغبة ولو على حساب نفسه، ولكنه يقول:

- لعلك نسيت أن الأب إنسان وكما لكم طموحات ورغبات ومشاعر له هو أيضا فلا تطالبوه بأن يكون زوجا أو أبا حتى تكونوا أنتم كذلك فهى كما ترى علاقة بين طرفين على كل منهما حقوق وواجبات خصوصا وأنكم كبار الآن وتتحملون المسؤولية، على كل حال لقد تأكدت أخير مما تقولونه عني أنت وأخوتك من أنني أب فاشل عاجز عن توفير الحد الأدنى من الضروريات لكم فقررت أن أترك لكم كل مرتبي لتوفروا به حاجياتكم بمنتهى البذخ كما تشاءون.
- ولكنه مرتب محدود لا يفي بشيء.
- تماما تماما، وهذا ما قضيت كل عمري أحاول أن أشرحه لكم وأنتم ترفضون الاقتناع.

وتصيح ابنته قائلة: ولكنك ستتركنا يا بابا، وماذا سيقول عنا الناس؟

وبقدر ما تألم أنها تزن فراقه لهم بما يقوله الناس إلا أنه أخفى مشاعره وهي مهارة اكتسبها من كثرة مهاجمتهم له، وقال:

- لا يهم فقد اقتنعت برأيك في إن الإنسان حر يفعل ما يريد، إلا إن نسيتي كأخيك أنني أنا أيضا إنسان مثلك تماما وحر في أن أفعل ما أريد، ولأنني لست دجاجة راقدة على بيض فاسد فقد كان ينبغي أن تسألوا أنفسكم أولا عما قدمتم أنتم لي مما تستحقون عليه أن أهدر ما تبقى لى من أيام لأجلكم.
- ولكن يا بابا ماذا ستقول عني البنات وزميلاتي في الدراسة وجاراتنا وشقيقتنا الصغيرة التي تحبها أكثر من أي شيء.
- لن يقولوا عنك شيئا وإن تكلموا فماذا عساهم يقولون فأنا لم أفعل طوال عمرى خطأ يعدونه علىَّ كل ما في الأمر أن والدك الذي عجز عن توفير أحدث الثياب على

الموضة والواقف في طريق حريتك الشخصية سيفسح لك بل لكم جميعا المجال لتحقيق أحلامكم، أما شقيقتكم الصغيرة فسنين قليلة وتكبر وتكون مثلكم، كلكم أحببتكم منذ ولدتم إلى اليوم مثلها أو أكثر وبذلت لراحتكم الغالي والرخيص، ولكن ما هي النتيجة؟

- وتقول زوجته التي لم يرها منذ أمد بعيد جدا بهذه الحالة من الوداعة وتهذيب الكلام والاحترام له: تعال أريدك على انفراد.

فيأتى معها إلى حجرتهم فتوصد بابها عليهما وتلقي نفسها علي صدره وتبكى وتقول بصوت وأسلوب تحاول فيهما وبهما إحياء ما يمكنها من أنوثتها المنسية:

- هكذا تتركني يا عيوني بعد هذا العمر الطويل الذي قضيناه معا يا خائن العشرة، وأنت تعلم حبي الشديد لك وأنني لا أستطيع العيش من دونك لحظة واحدة بعد كل ما فعلته لأجلك وما قدمته لك من تضحيات.

وينظر اليها متذكرا كل ثانية سوداء في سنين طويلة قضاها في جحودها وسوء عشرتها وتطاولها هي وأولاده عليه وتجاهل حقوقه كإنسان قبل كل شيء، إنه وإن كان طيبا إلا أنه ليس غبيا ويعرف طباعها جيدا فهى ضيقة الأفق قصيرة النظر أنانية طالما أخذت كل شيء ولم تعطه شيئا أما إصلاحها فمستحيل بعد أن جرب معها كل الوسائل والطرق لسنين وسنين حتى سئم، كل ما في الأمر إنها تعلم أنها ستخسر معنويا وماديا بطلاقها وهو مالا تريده وسترجع لحالها وأسوأ في أول مناسبة، لقد تزوج وأنجب وكافح ليحقق بأسرته ومعها أحلامه وأماله لا لتُغتال إنسانيته على أيديهم الملوثة بعقوقه بلا ذنب جناه.

ويخرج من باب شقته وحقيبته في يده لتغمر صدره مشاعر جميلة جدا جارفة نسيها منذ زمن بعيد وحنين إلى أحلام كبيرة اضطر لوأدها في فؤاده، انه يشعر بأن حياته المفقودة عادت اليه من جديد، يكفيه الخبز والماء ولن يعجز عن توفيرهما، أما أذنا الحمار الطويلتان فقد شعر بهما تصغران شيئا فشيئا ثم سقطت البرذعة السميكة عن ظهره وانتصب واقفا كبنى الإنسان من جديد ليمشى على اثنتين بدل أربعة.

احذر إنها الأعماق

فإنك عندما تنظر إلى الأعماق مليا تجد الأعماق هي التي تنظر اليك.

============

طالما سألني السائلون ورغب مني الراغبون أن أريهم كيف أكتب، وأعتقد أن الأوان قد آن لأفصح لهم عن أسرار قلمى وأوراقى وهي وإن كانت أسرارا صغيرة وبسيطة إلا أنني أعتقد أنها ستضيف اليهم شيئا جديدا ينفعهم، فخلاصة ما في الأمر إنني إطلاقا لا أكتب من السطح أو عنه بل من مكان اخر أقصى من ذلك بكثير وأبعد غورا اسمه الأعماق، وقد حان وقت الذهاب إلى الأعماق فثمة أمور مذهلة هناك.

{1} فأول ما علمتني الأعماق إلا أكتب من أو عن بعيد، ولا أكتب إلا من صميم حياتي وعنها ومن تجاربي وفيها.

إذ لا أحسن الكتابة عن غير ذلك فمداد قلمى لو تأملته جيدا هو في الحقيقة من داخلي كل ما أفعله هو أنني أغمس سن قلمى في قلبى فيسيل دمه مدادا على صفحات الورق بل إنني في أحيان عديدة أكتب وأنا لا أرى شيئا من غلبة الدموع وأحيانا أكتب في الظلام من دون أن أرى القلم أو الورق ثم أعيد كتابته إذا ما انتهيت في الضوء ليكون مقروءا لغيري وكثيرا ما تأتي النهاية قبل البداية.

وإن أبيت إلا أن أخبرك المزيد فدونك محطات رئيسة تعودت أن أقف فيها وعليها كلما ركبت قارب الكتابة أدونها لك اراها تفيدك يا من تهوى القلم وترغب أن تمتطي صهوته فمنها، إنه عليك أن تعلم أن:

{2} أخطر ما في الحقيقة هو أنك قد تجدها فعلا.

فالإنسان منا يحب أن يسعى خلف الحقيقة ويعجبه أن يستشهد بها في أقواله ويجعلها شعارا له في أحواله وأموره، ولكنه قلما يعلم أن الحقيقة جميلة براقة ما دامت بعيدة عنه أو فكرة أو قيمة معنوية تدور في خواطرنا وأحاديثنا، ولكن تتحول حياتك إلى جحيم مستعر- وقاك الله - يوم تجدها لأنك ستقف أمامها وجها لوجه أعزلا عاريا من كل شيء وعندها فقط ستدرك من الأعماق خطورتها، إذ أن الحقيقة لا تخاف ولا تحابي ولا تجامل أحدا كائنا من كان ولا تقبل الجدال وأنصاف الحلول وسيفها ماض في يمينها تضرب به بلا تراجع ولا هوادة من حاد عن مضمونها ولو قيد أنملة، ومن منا سينجو عندها؟

{3} وأن بعض الأشياء لا تستحق أن نصفها.

كل ما في الإنسان ثمين له قيمة عالية غالية ولكنني لا أدري لماذا يبخس الإنسان نفسه وأنفاسه بإسهابه في وصفٍ منطوق أو مكتوب لأشياء لا تحتاج وصفا لأن الجمال والقبح والحق والباطل وأمثالها كلها معان موجودة بأدق تفاصيلها وجزئياتها في معدن كل منا ذكرا أم أنثى سواء كان أستاذا في الجامعة أم راع يتتبع قطيعه في الصحراء، نعم قد ندعيها افتراء ونستدبرها أو نشوهها أو نكذب في وصفها ولكن لا أحد منا يجهل حقيقتها، لذا فإنني لا أبذل جهدي وقلمي إلا في وصف مساحة المتشابهات الواقعة مابين القيم كتلك التي بين العدل والظلم أو الخير والشر أو الحب والكره مثلا فهي وحدها التي أهتم بها لأنها فعلا تحتاج وصفا، ولعل هذا مغزى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: {الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهات ـ رواه الشيخان والترمذى واللفظ له}.

{4} هناك خيار دائما.

قد تتكاثر الهموم وتتناقص الهمم وتضيق فسحة الأمل ولا يرى الناظر أمامه إلا خيارا وحدا وحيثما وجد الخيار الواحد الأوحد وجد البلاء والشقاء فلا تنس أبدا أن هناك خيارا آخر دائما، اعتنق هذا المبدأ وبشر به غيرك لتنقذ الأعناق والأرزاق وتزرع الأمل والحياة وتنهض بمجتمعك وبلدك بل بالإنسانية كلها التي تعلمت عبر تاريخها العميق أن خير الدنيا التعدد وشرها التفرد.

{5} اعترف أولا ليتسنى لك أن تسمع اعترافات غيرك.

اعترافات الناس شيء مهول مروع إنه أشبه بتجرع السم الزعاف أو المشي حافيا على الجمر الأحمر المتقد، وعندما يعترف لك شخص ما بشيء يؤرق ليله وينغص حياته فإنه أشبه بمن يضع رقبته بين يديك لتخنقه فتقتله أو تضمه بحنان إلى صدرك ليطمئن قلبه وتسكن خواطره، ولكنك لن تفهم هذا المعنى قط كائنا من كنت حتى تجرب الاعتراف أنت نفسك أولا، لذا جد من تراه جديرا بأن تعترف له ثم اعترف واعترف وابكِ واصدق في اعترافاتك وستفاجأ بأن حياتك تجددت وأثقالك تنفض عن ظهرك وأنك ستلبس بعد كل اعتراف تنطق به من أعماقك حلة نقية جديدة تزيدك في عين نفسك ومن حولك بهاء وقدرا وجمالا ومكانة وتجعل لما تقول وتكتب معنى .

{6} من بعيد تبدو الأرض كوكبا واحدا ولكنها من قريب تمزقها النزاعات.

فإننا إذ نتكلم عن كوكب الأرض وسكانه وجغرافيته ككل في المدارس والجامعات ووسائل

الإعلام المختلفة نروج من حيث لا ندرى لأمل يزداد بعدا يوما عن آخر، بيد أنك كلما اقتربت من الأرض أكثر تبين لك خطؤك وعمق كوارث النزاعات والفرقة فالشعوب متنافرة متناحرة والأنظمة السياسية تحارب بعضها البعض وتفتك بمواطنيها وتسرق أقواتهم وتقطع ألسنتهم وتحشرهم في السجون بمبررات أصدقها كاذب، والدماء تسيل أنهارا بسبب الفتن السياسية والحزبية والدينية والطائفية والمذهبية والقومية، والشعارات الهوجاء تنطلق من الحناجر، والعقول تخترع كل يوم مزيدا من أساليب وأسلحة القتل، والأيدي تحمل الخناجر والبنادق وأزرار الأسلحة النووية التي يوجد منها الآن ما يكفى لشطر الكرة الأرضية التي نقف عليها كلنا نفسها إلى جزأين خمسين مرة، ناهيك بنزاعات الحياة بين الصانع والتاجر والشرطي والحرفي والمعلم والتلميذ والموظف ورأس المال وأدوات الانتاج ، وصراعات ونزاعات وتقاطع وتباغض بين الأسر والعائلات وداخل الأسرة الواحدة وداخل المنزل الواحد وبين الزوجين حتى في فراش الزوجية وأخيرا حتى بين المرء ونفسه.

لذا فإنني تعودت إلا أنظر إلى الكرة الأرضية عندما أكتب بل أقف على الأرض ذاتها ثم أكتب عنها .

{7} في كل قصة هناك امرأة.

خدعك من قال (خلف كل عظيم امرأة) فالحقيقة أكبر من ذلك بكثير إذ في كل قصة طيبة أو خبيثة نجاح أو فشل دموع أو فرح سفر أو إقامة هناك دائما امرأة حاضرة ظاهرة للعيان أو مختبئة في زاوية ما، قد تكون أما أو بنتا أو أختا أو امرأة أب أو زوجة أو حماة أو سواها من صنوف النساء، لذا لا تغفل عن البحث عنها وأنت تعيش و تسمع وترى ثم تمسك القلم لتكتب، ولا تظنن أن ذلك في قصص الرجال فقط بل حتى في قصص النساء هناك دائما امرأة.

{8} الغفران لمن لا يمكن الغفران لهم .

نحن من صنف البشر ولسنا ولم نكن في يوم من الأيام ملائكة ولن نكون أبدا لذا لا تجعل قلمك يتجول محلقا في شوارع السماء وميادين السحب، بمعنى لا تغرق في المثالية ولا تطلبها أو تطالب بها لأنها غير موجودة فينا أصلا، ولا تنادي بقيم لا يمكن لها أن تولد في عالمنا الناقص وإنما حذّر الناس من الاساءة بالقول أو الفعل لبعضهم البعض لأن الاساءة شيء كريه مرير يترك آثارا سيئة مزمنة وجراحات دامية عميقة قد لا تزول، حتى لا

يطلبوا يوما ممن ظلموا وأُوذوا وسُقوا كؤوس المرارة والهوان أن يغفروا، لأن أم الغفران عجوز حدباء تساقطت أسنانها وكُف بصرُها وشلت أطرافها ولا تلد العجائز إلا بمعجزة قلما تتكرر، ولأن إساءة البشر فيما بينهم حتى الله سبحانه بجلالة قدره لا غفران عنده لها ما لم يهب الغفران أصحابُها من الأعماق أولا.

{9} هل ألمك بلا شكل أم له أشكال عديدة.

الآلام أشياء محسوسة ملموسة لها أشكال ووجوه وحتى أسماء تميزها عن بعضها البعض ونناديها بها حين نألفها وتألفنا ولن تجد أحدا قط من دون ألم يعشش في حياته وينغص مسرته ويفسد عيشه، وهل يزول الألم يوما؟ أهذا ممكن؟

لذا انظر في الآمك وأوجاعك أولا لتعرف معنى الألم والأوجاع عند غيرك فليس من رأى كمن سمع، ثم اكتب عن الآم الناس وأحزانهم وحاجاتهم وظروفهم وسمِّها لغيرهم باسمها ليعرفوها ويتسنى لبني الإنسان إعانة بعضهم البعض كل بما عنده فمشاطرة الآلام والأحزان ليست بالأموال والنقود بل بالاستماع إلى أنين العليل وشكوى الحزين ومواساة التعيس ومشاركته همومه لأن الهم حمل ثقيل جدا فإذا ما شارك المهموم شخص واحد نقص نصفه فان زاد اخر نقص ثلثاه وكلما زاد العدد قل حجم الهم وثقله حتى يكون كريشة عصفور على ظهر جمل، تذكر دائما من الأعماق أن هذا واجب القلم الأول إن كانت اليد التي تمسكه يد إنسان.

{10} ضع التاج على قلبك لتكون ملكا لا على رأسك.

الكتابة أمانة مقدسة ثقيلة العبء عظيمة المسؤولية ولو تتبعت جل سعادة أو معاناة الناس اليوم ومشاكلهم أو راحتهم واحباطاتهم أو نجاحهم لوجدتها تنتهي إلى شيء مكتوب في ورقة ما قديمة أو حديثة وقليلون فقط هم الذين استدبروا الكتابة عن بهرج الدنيا وزيفها فلا يطبلون لفلان ولا ينافقون علانا ولا يروجون لأكاذيب هذا وأراجيف ذاك ولا يدعون بأقلامهم للفساد والشقاء وإنما يكتبون فقط من قلوبهم لأنهم علموا أنها مكان العرش الصحيح الذي توضع عليه تيجان الملك الحقيقية، لذا اتبع نصيحتي لك من الأعماق واكتب وأنت جالس على عرشك والتاج على قلبك وسترى.

{11} إنه سائق قطار الليل الأعمى إنه الجواب عن أسئلة لا تعرفها إنه حل كل الألغاز.

هو شيء عذب السيرة لذيذ الأثر والذكر تردده الألسنة كثيرا وتسهب في شرح سيرته الدافئة ألسنة الشعراء وينشده المغنون ويترنم بأوصافه المترنمون ويطلبه الناس ذكورا

وإناثا اسمه الحب، ولكنه بضاعة نادرة جدا بل هو قليل وقليل جدا، وأقل من القليل من يجده حقيقة بينما يسقط غالب طلابه صرعى أوهام وأحلام وقشور ومطامع دنيئة ومصالح متبادلة غلفوها بورق لماع حاكته مخيلاتهم ليبدو لهم كأنه ما يطلبون وليس هو.
وأنا لا أرغبك فيه ولا أدعوك له لأنه نار محرقة لا تُبقي ولا تذر ابتعد عنه لتسلم وتغنم لأنك إن التقيته فسترى مخلوقا ناعم المظهر لطيف الصورة والمخبر ولكن لا تدع ذلك يخدعك أبدا فخلف نعومته الوهمية أشواك وخازة وإبر مدببة حادة وسياط لاذعة وتحت لطفه المزعوم قسوة وبطش وإرهاب وضنك ومشقة، إنه مثل رجل أعمى البصر يقود قطارا معدنيا مسرعا إلى غير هدف ولا محطة، إنه مثل كتاب عتيق نادر وجد في كهف من كهوف الإنسان القديم ملئ بالأجوبة ولكنها أجوبة عن أسئلة لا نعرفها ولا نفهمها، إنه كمبيوتر صنع من أسلاك ومعادن وزجاج ثم برمج بسوفت وير ليحل لك كل الألغاز التي قيلت لك طوال عمرك، المشكلة أن الألغاز لا تطعم أحدا قط ولا تسقيه ولا تكسيه كل ما في الأمر أنها تسرق وقته وحياته من دون طائل يجنيه منها، إنه قلق بل رعب وخوف حذر المجهول القادم أن يفتك بالحب والمحبوب يوما، إنه شقاء مادام حيا وبلاء لا تستطيع تعلم العيش من جديد بعد موته.
فإن أردت الكتابة عنه فبصر الناس بعواقبه لينجوا بأنفسهم ولا ترغبهم فيه ليهلكوا، أضعف الأيمان أن يقللوا من عدد من وما يحبون لتقل آلامهم، وسيأتي يوم وتعلم أنني نصحتك من الأعماق.

{12} مكان لا ظلام فيه حيث تشرق الشمس طوال الوقت.

ستفتح بابا ثقيلا موصدا بقوة يؤدى إلى مملكة الظلام إذا ما فكرت أن تنبش الأعماق يوما، فلا تكن ولا تتمنى قط أن تكون مثلي فإنني رجل لا يخلو مكان في جسمي من طعنة حادة أو جرح غائر مضغتني الدنيا بأضراسها الصلبة القاسية ثم قذفتني لطاحونة الهموم والأحزان تسحقني ففقدت الأمل والأمن والشعور والإحساس، أنا لست في الحقيقة سوى جسد يتحرك بحكم العادة خال من أي معنى نسيت أشياء كثيرة جدا ومنها طعم السعادة التي يتكلم عنها الناس حتى صرت أجهل أن لها طعما أو مذاقا وصرت أحتاج وقتا وجهدا لتذكر متى كنت سعيدا آخر مرة، أما أعماقي فهي وديان مظلمة وكهوف سوداء مليئة بأحزان بالأطنان وعذاب مستعر وصراخ مفزع وأنين لا ينقطع ورعب وآلام ووحوش تتصارع وهوام تتقاتل ونيران لا تخبو، لذا كن على النقيض مني وبث الأمل في قلوب الناس أرهم السعادة وشوقهم اليها، أفرحهم ادخل السرور على قلوبهم وبشرهم بمكان ما على كوكب

الدنيا جميل مشمس ظليل لا ظلام فيه، صدقني إنه موجود وقد زرته مرارا عندما كنت مثلك ثم نسيت مكانه.

قصاصات

أقول: عندما ابتدأت رحلتي في هذه الحياة كنت مرآة صقيلة لامعة ينعكس عليها كل ما مررت به من خلق وأحداث، ولكن عندما صارت الأثقال تزداد وطأة على ظهري نظرت فإذ بي لا أعكس الأحداث فقط بل وأحملها أيضا.

============

هذه مجموعة قصاصات صغيرة من حياة إنسان ما عاد يدري إن كان هو الذي يحمل الكرة الأرضية أم هي التي تحمله، وإن بدا لك أن ما سأدونه لك منها غير مترابط أو منسجم فأعد قراءته مجددا.

إنهم ينيرون لنا السماء:

ليلة صيفية رائعة مضى عليها عام أو أكثر، الجو فيها جميل والنسيم عليل والسماء فيها صافية مزدانة بالنجوم ترصع زرقتها ألا متناهية وأنا أجلس مع هواجسي التي تؤرقني وأفكاري التي تهلكني كأنها عدو لدود يكرهني وذكريات مؤلمة ما فتئت تعصف بوجداني عصفا وتهزني هزا وتدفع بالآهات والتنهدات من صدري ساخنة كأنها صادرة عن موقد ملتهب لا عن صدر منتحب، ولم أفق من ذلك السعير إلا على صوت طفلة كانت تجلس بجانبي تسألني بأسلوبها العفوي وفضولها الطفولي وصوتها الناعم كقماش الحرير قائلة:

سيدي الشيخ من أين أتت كل هذه النجوم في السماء؟

فوجدتني أجيبها قائلا:

كلما أغلق الله بابا للحياة في الأرض فتح نافذة في السماء يطل منها النور وهكذا تكونت النجوم وتكاثرت حتى يأتي يوم لن نجد في الكون قط حيزا مظلما.

ثم انتبهت إلى أن محدثتي لم تبلغ العاشرة من عمرها بعد فسخرت من نفسي إذ أجعل جوابها كل هذه العُقد والطلاسم، أما هي فقد كانت أعقل مني إذ سكتت مظهرة الفهم والاقتناع.

كراهية:

أكره الموت لأنه لا يختار، وأكره الماضي لأنه منعني من عيش الحاضر، وأكره الألم لأنه يأبى أن يفارقني، وأكره الصمت لأنه يعطل الأجوبة، وأكره الذهب الذي ما لمسته مختارا طوال حياتي قط منذ وعيت الدنيا حتى اليد التي تتختم به تجدني أتجنب مصافحتها فململسه

عندي سمج كريه يجعلني أشمئز وأشعر بالقيء يغص في حلقي وبريقه شرير زائف مخادع يزداد الناس قبحا في عيني بارتدائه، وأخيرا أكره عجزي عن معرفة مقدار نصيبي في مصرف الحزن لأسحبه مرة واحدة وأنتهي.

صفقات:

سمعت عمن باع منزله لينفقه على ملذاته فحزنت، وعن آخر باع زوجته وابنته بقطعة مخدرات فاستغربت، بل وسمعت عمن باع كليته وعينه وعروقه لشدة فقره وعوزه فتألمت، ولكنني ما كنت أعتقد قط أن نصل إلى اليوم الذي نرى فيه من يعرض دين الإسلام سلعة رائجة في واجهات السوبر ماركت على مرأى من العالم،،، والزبائن هم المسلمون أنفسهم.

تصحيحات:

- هل تصدق أن عدد المكتئبين في كل العالم الآن هو فقط 140 مليون مكتئب أصارحك بأنني لا أعتقد أن هذا الرقم صحيح رغم إعلانه عالميا وأن الصواب هو أضعاف أضعاف ذلك بكثير.
- وهل سمعت عن الاستعدادات الضخمة التي تجري الآن لمسابقة أفضل طباخ في العالم وما رصد لها من جوائز وأموال ونفقات وحضور كثيف وحشد إعلامي ضخم ونقل على الهواء مباشرة،،، ربما.
  ولكنني واثق من أنك لا تعرف أنني أستطيع أن أعلن لك اسمه الحقيقي الآن قبل أن تعقد المسابقة وواثق أيضا بأن كل أولئك المنظمين للمسابقة والمشاركين والحاضرين لها لا يعرفونه وإنما سيعلنون اسما مزيفا ونتيجة هي بكل تأكيد مزورة.
  حسنا،، أراك تريد أن تعرفه؟
  سأجيبك الآن {إن أفضل طباخ في الدنيا هو الجوع}
- وهل علمت يوما أننا نستعمل الدلو لجلب الماء كي لا نضطر للنزول إلى البئر بأنفسنا.

جيش الرب:

أما إن كنت ترغب في معرفة مقدار ما يكيد الخبثاء لدينك دين الإسلام الحنيف فهناك قناة تلفزيونية اسمها وبكل صراحة ووضوح {God Tv} أي تلفزيون الله بذاته وبها معلومات كثيرة عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم وكتابه المجيد، وإنما فقط مختلطة ببعض الزيادات والحذوفات بهدف النصح والإرشاد ليس إلا والسعر لا يتجاوز كلفة المكالمة

الهاتفية، وإن أردت دليلا واضحا على صدق هذا التلفزيون أي تلفزيون الله فستجده في قوات عسكرية حققت انتصارات على الأبرياء والعزل كبيرة في أرجاء الأرض، وهي لا تغفل حتى وهي تقتل وتسفك الدماء وتهتك الأعراض وترسل بالأطفال أشلاء إلى الآخرة عن حمل الصليب ورفع صور وتماثيل تنسبها لنبي الله سيدنا عيسى عليه السلام وإقامة القداسات وتلاوة الصلوات من الانجيل وكتاب العهد القديم وقادتها أنفسهم يعلقون الصليب في رقابهم بكل خشوع واحترام ولا غرابة أن تنتصر فإنها تحمل اسم (جيش الرب)

مجرد أسئلة:

- ترى أيهما يقتل الآخر،، هل الحب هو الذي يقتل الوقت أم الوقت هو الذي يقتل الحب؟
- وأيهما وجد أولا الألم أم الموسيقى؟
- وهل الوقت يسرق العمر أم العمر هو الذي يسرق الوقت؟
- وهل نستطيع أن نتذكر أشياء لم تحدث أصلا؟
- وهل الحركة هي عدوة التفكير؟

ومن يسلم من شرهم:

مسكين أنت أيها القنفد فبالرغم من نحو 5000 شوكة مدببة تغطي جلدك لا تتردد أيدي الناس في أن تمتد لك بالسوء، إنني أشبه حالتك البائسة بطفل يمسك بلعبة سيف من كرتون آملا أن يوهم بها مجرما عتيدا يحمل في يده مدفعا ضخما يتجه به نحوه ليؤذيه بأنه قادر على صده.

إدراك،،،

كان من أول ما أدركته في هذه الدنيا أن الظلام بأهمية الضياء، وأن السجان يمل السجن أكثر من المسجون، وأن في كل منا عيب يخفيه عن الآخرين، وأن القطيع هو مجموعة من الوجوه بلا ملامح، وأن الأشياء التي نخافها هي التي قد حدثت فعلا.

رأى الإسلام:

كثيرا ما أسمع هذه العبارة في الوسائل الإعلامية المسموعة والمقروءة والمرئية أكثر خصوصا في الحوارات والبرامج الدينية، ولا أخفي عليكم أنني أضحك منها كلما سمعتها كأنني أشاهد مسرحية شاهد ما شفش حاجه فقائلها في وجهة نظري هو مخبول يعاني خللا

عقليا فعلا إن كان يعني ما يقول أو ساذج إلى درجة الغفلة لا يعي ما ينطق به أو هو في أحسن الأحوال ممثل مبتدئ يعيد عرض مسرحية شاهد ما شفش حاجه.

فرأي الإسلام لم ولا ولن يمثله إلا إنسان واحد فقط اسمه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم **لماذا؟**

لأنه معصوم ولأنه يُوحى إليه ولأن الله تعالى أوجب علينا أن نسمع منه ونقبل بلا تردد أو اختيار بين ما يقوله هو وما يصدر عن غيره فإن ذلك عين الطاعة وسواه عين المعصية: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** - الأحزاب 36} كما أن الله تعالى جعل اتباعه دينا وطاعة له سبحانه {**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** - النساء 80}.

أما آراء وأفكار واجتهادات من عداه من دون استثناء لإنسان واحد بعده فهي ناقصة مقيدة قابلة للخطأ والصواب محكومة بقيود الزمان والمكان والمستوى المعرفي علا أو انخفض ونسبتها إلى الإسلام يعنى اضفاء قداسة وعصمة عليها لا تستحقها أبدا.

وفى الوقت ذاته كم أحترم من يطرح رأيه قائلا هذا رأيي أو وجهة نظري .

أجساد بلا حياة:

كم هو غريب أن يتجرأ الرجل على ضرب امرأته وإهانتها ثم يرغب منها ما يرغب الرجل من المرأة ويتناسى انه بهذا إنما يمس جسدا لا حياة فيه ولا عاطفة نحوه إذ لم يحدث قط أن أحب المجلود جلاده أو المجروح السكين التي أذته.

المسجد:

- من المفارقات العجيبة أنه لا يوجد تعريف لمعنى المسجد في ثقافتنا ومراجعنا الإسلامية ولن تجد في القواميس والمصادر ذات الصلة إلا مشتقات لفظ السجود في اسم المسجد أو الاجتماع في اسم الجامع.

  أما إذا أردتني أن أضع له تعريفا فسأقول:

  المسجد هو مكان يجمع بين الألم والسعادة ألم أولئك المثقلين بالذنوب والباحثين عن إجابات لأسئلة تؤرقهم، وسعادة بأمل في قبول توبة ومغفرة اخرين.

- ولكن إياك أن تأمرني بالخروج من المسجد لأن ردي عليك سيكون عندها هو قولي: تستطيع أن تخرجني من المسجد ولكنك لا تستطيع أن تخرج المسجد مني.

- أما إن جررتني إلى حوار حول ما إذا كان هذا مؤمنا يستحق الدخول للمسجد وذاك غير مؤمن لا يستحق فسأقول لك رأيي في مسألة الإيمان بصراحة ولن أثقل عليك فهو جملة واحدة لا غير هي:
إن الله يؤمن بي وبك وبه حتى إن لم نؤمن نحن به وهذا معنى اسمه تعالى المؤمن كما أفهمه.

بعض من رؤى أواخر عام 2008م

الخميس 31/ 07/ 2008م

أراني الحق سبحانه في منامي أنني مع الطبيبين ابن سينا والرازي رحمهما الله أتوسطهما.

الأحد 17/ 08/ 2008م

أراني الحق سبحانه في منامي ابن عمي وصديقي الحاج مفتاح حمزة أبوبكر الذي كان علما من أعلام البطنان ورمزا من رموزه ثم أصيب منذ ثلاثة أعوام تقريبا بمرض أقعده وأهلكه وأعجزنا عن تبادل الحديث معه وهو نشط في تلك الرؤيا بصحة طيبة وعافية كما كنت أعهده قبل أن يُبتلى بالمرض وأنا أقول له:
أوحشتنا يا رجل وافتقدناك ونتشوق لمجالسك وأحاديثك،،،، واستيقظت من النوم وهو بجانبي .
وقد عبرتها بوفاته عن قريب واتصلت هاتفيا بحبيبنا السيد كريم ادريس كريم في البطنان أسأله عنه وأشعره بالرؤيا وتعبيرها ، وبعد ذلك بنحو شهرين انتقل الحاج مفتاح يوم الثلاثاء 21/ 10/ 2008م إلى رحمة الله اسأل الله له المغفرة والجنة.

الثلاثاء 30/ 09/ 2008م

ليلة عيد الفطر المبارك أراني الحق سبحانه في منامي أنني أسير في طريق وبصحبتي حبيبنا الشيخ عمر الأزرق ـ أمد الله في عمره ـ وأرى في تلك الطريق أمواتا كثيرين كنت أعرفهم عندما كانوا أحياء وأنا أحدث الشيخ عمر عنهم وعن أسمائهم حتى وصلنا إلى بيت بادية جميل يبدو عليه الخير والنعمة منصوب بإتقان وأمامه وبداخله كثير من أبناء عمومتي ورأيت في البيت المجاهد الهاين مكاييل هاشم عليه رحمة الله كما عرفته حيا وهو في أكمل صورة تراها العين بهي الطلعة والهندام كث اللحية أحمرها من أثر الحناء.

الجمعة 10/ 10/ 2008م

أراني الحق سبحانه بعد صلاة الفجر الشيخ بشير ظافر المدني من مشايخ الطريقة المدنية رضي الله عنه وعنهم التقانى وقال لي وهو في أشد الاهتمام والإشفاق والتأثر لما عراني:
سمعت أنك تبتعد عن الخلق وتتجنب لقياهم والاختلاط بهم والأمر عندك يزداد استفحالا يوما بعد يوم.
فانهرت بالبكاء وأجبته قائلا: جعلنا الله وإياك من أهل الأنس بالله،،، ثم احتضنته وبكينا معا.

السبت 25 /10/ 2008م
أراني الحق سبحانه في منامي عمي الحاج ادريس كريم عليه رحمة الله وهو قادم للتعزية في المرحوم مفتاح حمزة المذكور آنفا.

الاربعاء 05 /11/ 2008م
أراني الحق سبحانه في منامي الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه إمام المذهب وأنا جالس معه أناقشه وأحاوره لمدة طويلة جدا في أمور الدين والشريعة مرددا لحضرته أكثر من مرة تشرفي وافتخاري بالجلوس إليه والحديث معه، ثم حضرت الصلاة فصلى خلفه بعض من تلامذتي ولم أصل أنا خلفه.

اليوم الذى يلى الأمس

كل الأيام مميزة فذاك اسمه يوم أمس الأول ويليه يوم الأمس وهناك يوم الغد وبعد الغد ويوم عاشوراء ويوم العيد ويوم القيامة .... كلها كل الأيام ماعدا اليوم الذي يلي الأمس فلم يحمل أبدا صفة تميزه ولا يطلق عليه إلا اسم اليوم فقط، ترى ما لحكمة الإلهية من وراء ذلك؟.

============

رغم أننا لا نراها إلا أن الحكمة الالهية موجودة:

نعم قد تصدأ القلوب وتظلم البصائر ويجحد الإنسان في لحظة من لحظات الضلال فضل بل حتى وجود مولاه سبحانه فلا يرى إلا المادة فاعلا ومؤثرا وتتواضع معاني الإيمان عنده لتكون في أسفل درجات سلم اهتماماته أما أعلاه فمخصص لمكاسب الدنيا الفانية والحياة المنقضية والنفوذ الزائف، ولهذا أن يقول ما يشاء وينكر ما يريد ولكنه لو نظر لأبصر ولو أبصر لرأى ولو رأى للمس الحكمة الالهية بيده.

تقفل الرياح بابا ولكنها تفتح آخر:

ولأن الحكمة الالهية هي لطف محض من رب العزة سبحانه بعباده فإنه ما قفل باب وظن الإنسان أنه أحيط به وأخذ به اليأس من رقبته يريد أن يصرعه ويفتك به إلا وجاءه الفرج وفتح باب آخر ربما كان أوسع من الأول وأكبر وسبحان الحكيم.

مصرف الإخلاص:

ربما لم تسمع باسم هذا المصرف من قبل فهو لا يعطى قروضا مالية ولا تسهيلات نقدية وليس في شهرة مصرف التنمية أو الصحارى أو الوحدة ولكنه موجود وله ملايين الفروع في ليبيا والعالم كله وبه حسابات جارية لكل سكان العالم بعضها مقفل وبعضها هزيل قليل القيمة وبعضها ينوء بحمله العصبة أولى القوة ولكن لهذا المصرف قوانين واضحة وصارمة فبمجرد فتحك لحساب في مصرف آخر يقفلون حسابك.

حوار:

عندما كنت طالبا في برستول بولي تكنك ببريطانيا كان يدرس معي في الفصل نفسه زميل ألماني له هواية كبيرة بدراسة تاريخ المنطقة العربية وحضارتها وطباع سكانها وسلوكهم

والدين الإسلامي بالضرورة ولم يكن من عربي غيري في الفصل يمارس مهارته وهوايته في الحوار حول هذه المواضيع معه فكان من الطبيعي إلا يمر أسبوع دون حديث لنا معا، فقال لى ذات مرة:

- لقد ارتقت أوروبا حضاريا كثيرا عن الشرق الأوسط لأنها أزاحت الدين وقيوده التي تعيق التقدم من حياتها بعكسكم، وإن كنت معجبا في الحقيقة باستمرار مؤسسة الزواج الديني عندكم أما نحن فقد انخفضت نسبة الزواج عندنا إلى النصف وهي آخذة في التراجع أكثر والأسر تتكون الآن من رجل وامرأة لهم أطفال ولكن لا يربطهم الزواج الديني بمعناه المعروف وإن كفلت الدولة لهم كافة الحقوق الأسرية.
- فقلت: وهل يصلح ذلك ليكون بديلا عن الزواج بمعناه الديني؟
- فقال: لا،، وأنا أعترف بأنكم تفوقتم علينا في ذلك بمحافظتكم على الزواج الديني فهو الأساس الصحيح لتكوين أسرة ناجحة وهو ما كانت عليه أوروبا إلى عهد قريب، وأنا نفسي من أبوين متزوجين في الكنيسة وأرى الفرق واضحا بين أسرتي وما عليه الأسر المتكونة خارج إطار الدين الآن، أعتقد أن الإسلام أوجد آلية ما للحفاظ على مؤسسة الزواج نشطة فعالة عندكم.
- فقلت له: نعم هذا صحيح، وأستطيع أن أخبرك بهذه الآلية إن أردت معرفتها.
- فقال: قل من فضلك.
- فقلت: تتمثل هذه الآلية في سؤال قديم جدا يقول: لماذا تشترى بقرة إذا كان الحليب يوزع مجانا؟

وأعتقد أنه سطع نور وراء الحكمة الالهية في محرمات الشريعة الإسلامية في فؤاد ذلك الرجل، إذ يزد ولم أزد،،

ويا للخجل:

وأخيرا سقطت الأقنعة عن وجوه بني بشر اليوم وظهروا على حقيقتهم كنموذج لأسوأ ما على ظهر الكرة الأرضية من مخلوقات الله، لم يحتج الأمر لأكثر من إعلان مخجل ومؤسف رددته وسائل الإعلام العالمية يقول: أن 693 مليون إنسان هو عدد الجوعى في العالم خلال سنة 2008م، وأن 13 ألف طفل يموتون يوميا في قارة أفريقيا نتيجة أمراض كان يمكن تفاديها، وأن 100 مليون طفل مشرد في شوارع العالم، وأن 14 مليون أفريقي

ماتوا بالايدز مابين سنة 2000م و شهر 6/ 2008م لتتهاوى أقنعتهم على الأرض وتظهر وجوههم كما هي.
فالأموال في كل مكان تنفق هيلا بلا كيل بأرقام فلكية على أنواع السلاح والنار والفتك بالناس واحتلال الأراضي وإذلال الأنوف وتكسير كرامات الشعوب وما مثال العراق وغزة منا ببعيد، ومليارات المليارات تبدد على ثياب وأحذية الموضة وزجاجات الخمور والنبيذ والأطعمة الفاخرة وتقليعات السيارات الحديثة واليخوت الفخمة والطائرات الخاصة وأنواع الرفاهية بكل وجوهها، حتى أن مجلة فوربس وهي عالمية متخصصة في أخبار أغنياء العالم وكنوزهم وثرواتهم ذكرت في 9/ 3/ 2007 م أن 3500 مليار دولار في يد أقل من 1000 شخص في العالم.
ولو خصص العالم فقط مقدار زكاة ذلك كله لجوعى ومرضى ومدارس العالم لما وجد جائع أو مريض أو جاهل واحد علي الأرض، بل لو تصدقت شركة كوكا كولا بمبيعات يوم واحد وهي التي تبيع 200 مليون زجاجة حول العالم يوميا لشبع كل خلق الله عاما كاملا.
ليت ذلك الأبيض المتخم المترفع عن ذالك الافريقي الأسود أو الآسيوي الأصفر الذي تبدو عظامه ناتئة من قميصه البائد يعلم أن الألحان الجميلة لا تصدر عن البيانو إلا بالضغط على الأزرار البيضاء والسوداء معا.
ولكن ذلك لن يكون لأن إنسان اليوم يفتقر إلى شي هام وأساسي هو الشعور بأنه جزء من الاخرين وهم جزء منه سواسية كأسنان المشط وأننا إما أن نشبع معا أو نجوع معا، لذا فإنني لا أستغرب إن أشعل جوعى العالم قريبا ثورة عارمة تأكل الأخضر واليابس معا لأنهم ليس عندهم بعد المجاعة ما يخسرونه.

مزرعة الأسماك:

إنه مصطلح حديث ظهر في المجالات الاقتصادية أخير إذ تعودنا قبل ذلك أن نسمع عن مزرعة دلاع أو كوسة أو كرنب أما أن تزرع الأسماك فقد كان شيئا عجيبا، ترى هل تبذر؟ أم تغرس شتلا وتسقى وترش بالأسماد؟ أم ماذا؟
ثم تداول الناس الاسم وما عادوا يفكرون في تفسيره ومدلوله،، وبقي الأمر عندي كذلك حتى زرت مرة مزرعة أسماك في بحيرة الملفا جنوب مدينة الجغبوب التي انشأتها أهليا جمعية الهيلع بقيادة رائدها الكبير صديقنا وحبيبنا محمد الهنيد ورأيت طريقة عملها واستغربت كثيرا من سيارات تقدم من الساحل حيث البحر الأبيض المتوسط يمتد واسعا شاسعا لتطلب منها الأسماك،،، لا يهم،، ليس هذا على كل حال الذي لفت نظري في الحقيقة

بل شيء آخر هو: (أن المياه النظيفة جدا لا تحتوى على الأسماك).
ياآاه لقد استغرقت يا أحمد زمنا طويلا جدا وزيارة إلى الملفا حتى فهمت الحكمة الالهية من وجود الآثام والذنوب والمعاصي في حياتنا على الأرض فلولا ذلك ما صلحنا للعيش على ظهرها.

السماء أعلى:

ليس الإنسان عموما منزها عن الخطأ ولا هو نبي معصوم بحيث يكون كل ما يفعل ويترك صوابا لا خطأ فيه والصحيح هو عكس ذلك تماما فكل ابن آدم خطاء وهذه فطرة الله التي فطرنا لحكمته جل شأنه عليها وهذه الأخطاء بعضها هين لا يترك أثرا فننساه بعد معاناة يسيرة ونمضى في عيشنا وبعضها كبير الجرم عظيم الأثر خطير العواقب فتراه إذا أحاط بالإنسان صار كالجدران القوية الصلبة العالية تسجن الإنسان داخلها ويضيق عليه وسعها يوم بعد آخر فتثقله ويضيق بها ذرعا ويسود عيشه وتفسد حياته، ولهذا المتألم أقول: إذا كانت الجدران عالية فالسماء أعلى.
فى كل الأحوال ثق أن سموك إلى علو السماء الرحبة الساحات الواسعة الأرجاء هو فقط القادر على إخراجك من ضيق سجن الجدران المعتمة الضيقة.

قال الحكيم:

- قال: وهو يتقد غضبا والشرر يتطاير من عينيه وزبد ريقه يتطاير من فمه ووجهه محتقن يكاد ينفجر:
  لقد أسأ لى وأوجعني وسترى ما سأفعله به سأجعله يكره اليوم الذي ولد فيه ويندم على الساعة التي رآني فيها سأكيد له وسأكذب وأفتن عليه ولن أتوقف حتى أمسح به بلاط الأرض.
- قال الحكيم: إذا أصريت على الانتقام فاحفر قبرين.
- ولكنني اعتمدت عليه في إدارة أعمالى ووثقت به وسلمته رقبتي ومالي وكل شي كان يتصرف أمامي بحال توحي بالخير والأمانة أما خلفي فحاله مغاير وسعيه لسرقتي وخداعي أوصلني إلى هذه الحال التي ترى، أتريد منى بعد ذلك أن أسكت؟.
- قال الحكيم: كان عليك أن تحفر البئر قبل أن تعطش.

نبوءة قلب :

ما كان يعرفها ولا تعرفه قبلا كل ما في الأمر أن أهله دلوه عليها فوافق مسرعا قبل أن يغيروا رأيهم فرحا مسرورا إذ سيكون رجلا له زوجة وأسرة ومكانة في المجتمع، وهي كذلك ما رأته قط ولا عرفت عنه شيئا سوى أن أهلها وافقوا على زواجه منها ففرحت حتى كانت تقفز على الأرض من شدة الفرح ولولا أن أمها صاحت بها ناهية لاستمرت تقفز حتى اليوم، تزوجا على كل حال وعاشا معا تحت سقف بيت واحد واشتعلت بينهما عواطف الحب المتبادل ينهلان منها كؤوسا مترعة لا تروي ظمأهما ولا تزيدهما إلا عطشا، وتدخلت الأيدي القذرة بينهما بالسوء وكانا صغيرين تنقصهما الخبرة والكثير من الحكمة والتروي والدراية بطباع السوء وأهله فسقطا سريعا صريعي الفتنة ومكائد الأشرار، وانقضت سنون وسنون وتزوج هو من أخرى وتزوجت هي أيضا ولكن،،، فجأة حدث ما لم يكن في الحسبان فجمعتهما الحياة من جديد زوجين في دار واحدة مرة أخرى، وأقاما فرحا متواضعا وهما في منتهى الخجل والحرج فكلاهما تجاوز سن الشباب وكلاهما له أولاد وبنات،،، وجلست العروس الأم في لباس الفرح وسط زغاريد ودربوكة صاخبة بين فتيات الأسرتين وهن ينشدن أغان ذات معنى محرج لا يخفى عليها ولا على أحد من الحاضرات يدور موضوعها عن الشابين الصغيرين المتزوجين وجمالهما وعيون حاسديهما ترددها الفتيات، أما العريس الأب فقد كان يبتسم للضيوف في حرج شديد وحيرة ويختفي في هذه الدار قليلا وفي تلك قليلا حتى لا يراه أهله وأصدقاؤه وأبناؤه وبناته سيما وبعض النكت تلقى على مقربة منه فتجعل وجهه يحمر تحت شنته الحمراء خجلا كقول أحد الشباب لإبنه: لقد غلبك أبوك يا طايح السعد وتزوج وأنت ما زلت تنش الذبان، وشاب آخر يقول على مسمع منه: الزرع يريد مناجل وايد.

وانتهى ذلك اليوم المحرج بأن دخلت العروس دار عريسها من جديد ونظر إلى عينيها الواسعتين بلا نهاية لا تساعهما اللتين لم ينسهما قط وسألها: أتريدين أن تقولي شيئا؟

فأومأت برأسها إيجابا، وقالت: تنبأ قلبي بعودتك وهاهي النبوءة تتحقق.

وأنت أتريد أن تقول شيئا؟

فأومأ برأسه إيجابا، وقال: طال انتظار هذا القلب لرفع ستائر الظلمات عنه .

قصص الجدران:

أكف البشر لها لغة انني أشبهها بـ{كي بورد} الإنسان فإنك أحيانا تصافح إنسانا فتشعر بالحزن وأحيانا الغضب وأحيانا بالحياء كل ذلك ينتقل عبر المصافحة بالأكف ومنها

وعبرها تنتقل الأحوال والمشاعر وتستطيع التوسع في هذا الموضوع بقراءة بحث لنا بعنوان (تكلم بكفيك فيسمعك العالم).

ولكن الذي أنا بصدده اليوم هو شيء آخر إنه الجمادات، ترى ألها قدرة ما على حمل المعانى والأحوال؟ ألم يخبرنا الله تعالى عن قميص سيدنا يوسف عليه السلام وهو جماد كيف ألقي على وجه يعقوب فعاد بصيرا بعد أن ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم.

أقول لك هذا لأن أشخاصا حباهم الله تعالى رقة في المشاعر ولطفا في الأحاسيس ووداعة في القلوب ما انفكوا يروون قصصا مؤثرة عمن لم يروهم أو يعاصروهم فقط من مجرد إقامتهم في دور ومنازل سكنها أولئك قائلين: إن قصصهم تسكن الجدران، ثم يضيفون بمرارة: الجدران مليئة بالذكريات وبعضها مؤلم.

من يلون الأيام:

أخيرا وليس بآخر إذ أرى أننى أطلت عليك أعتقد أنك تريد أن تعرف إجابتى عن السؤال المذكور أعلاه فأقول: أعتقد أن الحكمة الالهية في أن اليوم الذي يلي الأمس لم يسم باسم يميزه لأننا نحن من نعطيه صفته فنجعله يوما طيبا جميلا نافعا أو العكس.

إنني تحت القناع

يستطيع الطبيب أن يداوي عطب العيون وقصر نظرها وسوء رؤيتها وفساد قرنيتها ويزيل ماءها الأبيض أو الأسود،، ولكن ترى من يعالج عين البصيرة إذا ما عجزت عن رؤية الفرق الجلي بين مليح وقبيح؟.

=============

هاهي تعود إلى منزلها من جديد للمرة الخمسين أو أكثر فما عادت تعرف عدد المرات التي حملها فيها حزينة باكية بسيارته إلى أهلها رافضا رجوعها مقسما أغلظ الأيمان بأنه سيذهب إلى المحكمة ليطلقها لولا ضغوط والده الذي هو عمها شقيق أبيها الشديد عليه فيرضخ لأمره مرغما ليعيش معها أياما في منزل واحد متجاهلا وجودها بالكامل مشيحا بنظره عنها يمنة ويسرة لا يكلمها ولا يسمع منها كأنه يعيش في زواره وتسكن هي في طبرق ثم ليحملها بعد أيام تطول أو تقصر إلى منزل عمه من جديد وليُجبر على رجوعها ... فهو ما كان يريدها زوجة ولا رغبها يوما ولا تجاوزت نظراته إليها نظرات الشفقة والعطف علي ابنة عمه التي طالما تندر أصدقاؤه وأقرباؤه بقبحها ودمامة وجهها علي مسمع ومرأى منه وكثيرا ما شاركهم تندرهم ذلك وضحكهم عليها بيد أن تقاليد الأسرة والتزاماتها زجت به في دوامة دارت به قوية مسرعة ليجد نفسه يسير مرغما في طريق لا رأي له فيه ولا نظر انتهى بأن يجد نفسه في حجرة واحدة معها.
وتنظر هي إليه من بعيد وتتنهد بحرارة وألم من كل قلبها ... وتنكب على كراسة يومياتها التي تعودت أن تودعها أسرارها فتكتب فيها ما تحس به من آلام وما يمر بها من أحداث لتشعر ببعض الراحة وقد أفرغت أثقال صدرها وحمول همومها على ورق صفحاتها.

- بإمكان الإنسان تحمل الكثير من الأذى

أنت لا تراني،، أنت لا ترى أمامك إلا وجه امرأة بخلت عليها الطبيعة بعناصر الحسن والجمال وكم يؤسفني أن أوافقك على ذلك ويؤسفني أكثر أنك لا تعلم مقدار ما تشعر به المرأة من ذل ومهانة وهي تعترف بهزيمتها أمام بنات جيلها في ساحة الحسن والدلال وانصراف لمسات الجمال الزاهرة عن محياها، ولا تعلم كمَ المرارة الذي ينفجر في صدري وأنا أنظر إلى زجاج المرآة الصقيل فلا أرى فيه سوى عينين ضيقتين كأنهما خُرما بإبرة على رأي بعض صاحباتي وحاجبين غليظين لم يجد النتف المتواصل والخط معهما نفعا وفم

مقوس من الجانبين كأن صاحبته حزينة تهم بالبكاء وأنف أفطس وفكين عريضين ووجه غير متناسق التقاسيم لا علاقة لأي جزء منه بالآخر ولون بشرة زادته البثور قبحا وأنظر من أسفل لأعلى ومن أعلى لأسفل لأرى قصر قامتي الظاهر للعيان وما ترتب عنه من اكتناز جسمي وترهل خصري وأنت ترى كل ذلك قطعا كما يراه غيرك ولكن صدقني ليس أنا من صور صورتي ولا اختار شكلي إنه قضاء ربي عليّ بلا ذنب جنيته ولا إثم ارتكبته،، ولكن الذي لا تراه أيها الحبيب الغالي هو أنا،،

- هناك أشخاص يستحقون الإنتظار ولو طال أمده.

فأنا فتاة في منتهى الجمال الخالد الأخاذ والروعة المنسابة كنسيم الصباح العليل على قماش من حرير أصلي ثمين، رقيقة كفراشة الربيع المزخرفة أسكن مجبرة ذلك الوجه القبيح والقوام الغليظ، أنا طيبة القلب كطفل فطيم، حنون المشاعر كأم رؤوم، أحب الخير لكل الناس، لطيفة المعشر، خفيفة الظل، دائمة البسمة لا يمل جليسي - وليتك تكون جليسي الدائم - حديثي ومجلسي، وفية لا تعرف الخيانة والغدر طريقهما إلي قلبي، راضية صبور أعيش مكتفية بالماء القراح، قادرة على تحويل كوخ الصفيح إلى قصر منيف والخبز اليابس الحاف الجاف إلى أطايب الطعام، لا يهمني أن أنام على الحصير بلا وسادة، لا أتذمر ولا أكلف شريك حياتي ما لا يطيق بل أهبه فرحة مسرورة ما ملكت يداي وحزت من دنياي وأهم من كل ذلك أهبه حبي حبي حبي وهو أنفس ما تملك المرأة،، نعم،، فأنت لا تعلم أن النساء يرددن هذه الكلمة كثيرا ولكنهن لا يعنينها عادة والقليل منهن من تدرك حقيقة معانيها ومغانيها أما أنا فإنني لست كالنساء بل مختلفة عنهن جميعا ربما بسبب افتقاري لحُسن نسي أن يطرق بابي وتذكر أبوابهن فكسى وجوههن بزخرفته بلا جهد ولا تعب منهن كمن ورث مالا بلا مشقة فتراه يبذره يمنة ويسرة بلا مشقة، لهذا فإنني إذا ما نطقت بهذه الكلمة المقدسة عندي لمن أحب فهي نابضة بالحياة صادقة كلها طهر وحق كأنما تخرج من فم صوفي طاهر يتعبد الليل في خلوته.

الفرق بيني وبينهن تماما مثل من سجل كلمة أحبك على شريط بمائة لغة وأسمعها لنفسه متوهما أنه سمع كلمة الحب الخالدة ولكنه لو درى الحب حقيقة لفهم أن نظرة واحدة من عينٍ مُحبةٍ أبلغ وأصدق من مليون شريط بمليون كلمة أحبك بمليون لغة.

إنني أعرف قيمة كل شيء وإذا ما أحببت مددت يدي اليمنى إلى القمر فأتناوله وأعلقه في دار حبيبي قنديلا ينير له حياته ونظمت من النجوم عقد نور وهاج يضئ له لياليه وأمسياته فإذا ما تأخر في رجوعه إلى داري رأي الطريق واضحة جلية كأنه في وقت الضحى فلا

يتأذى من وعرها ووهادها أو من شر ناسها وحيواناتها ونسجت له بيسراي من الشمس دثارا فلا يحس بردا ومن الثلج سربالا فلا يحس حرا سأجعله يقسم أغلظ الإيمان ولا يحنث أنه ما كان حيا قبل أن يعرفني وإنه لأصدق الصادقين،، كل ما أريده هو فرصة واحدة،، واحدة فقط،،، أعطني فرصة وأحبني ولو بقدر واحد علي الألف مما أحبك ولن تخسر،، سترى .

وتسرح بفكرها بعيدا متأملة،، ثم تتناول قلمها مجددا وتكتب:

- النقود لا تشتري إلا الأشياء التي لها ثمن فقط.

من الغريب أن الرجال يعلمون الكثير عن موديلات السيارات المتتالية ويعرف جلهم ما أضيف لهذا الموديل أو ذاك من مزايا في السرعة والمقاعد والتكييف، وماهرون في استيعاب تطويرات الهواتف النقالة وما توفر التكنولوجيا لهم، ولكنهم لا يكادون يعلمون شيئا عما وفرته التكنولوجيا ذاتها ليس في السيارات والهواتف فقط وإنما في وجوه الخلق وتقاسيمهم من أنوف وعيون وأسنان التي تباع في الأسواق وعلى الأرصفة بأبخس الأسعار فهناك عدسات لاصقة تجعل العينين خضراء وزرقاء ورموش سوداء طويلة وأصباغ لتلوين الشعر بأي لون يخطر على البال وشامبوات ومستحضرات تجعله كالحرير وباروكات تطوله وتقصره ومعاجين لتفتيح البشرة تجعلها كالحليب الصافي ناهيك بالإكسسوارات من حذاء بكعب عال يجعل صاحبته في الطول الذي أرادت ونظارات شمسية بإطارات زاهية وفساتين تخفي عيوب القوام وتظهر محاسنه وهناك عمليات تجميل تجرى علي الأفواه والأنوف وسواها، لماذا لأنها قشور وبالإمكان شراؤها من أي رصيف وإضافتها للوجه في دقائق، أما ما تعجز التكنولوجيا وستبقى عاجزة عنه إلى يوم القيامة فهو أن تجعل الخبيث طيبا والخائن وفيا والشرير صالحا والقاسي حنونا والتافه ذا مكانة وبمعنى آخر هي عاجزة عن بلوغ مواطن الجمال والقبح الحقيقية في الإنسان.

أنا لست مبالغة إذا ما تيقنت عن نفسي أنني ملكة جمال في غاية الملاحة والصباحة وأعلم أنني أجمل من كثيرات تراهن حولك وبإمكاني أن ألصق هذه القشور في وجهي لأكون مثلهم أما جمالي الحقيقي فإنهن لا يستطعن أن يبلغنه لأنه لا يباع في الأسواق ولا تنتجه مصانع الصين وتايوان.

أعطني فرصتي وإن فشلت فلن أكون جديرة بالحياة ولو ليوم واحد،،،، وتسرح بذهنها مجددا متذكرة قهرها وكسر خاطرها يوم اشترت مواد تجميل ثمينة وعلبة مكياج باهظة التكاليف ومشطت شعرها وتزينت وتعطرت قدر ما استطاعت بعطر ياسمين فواح يصرع

الجمل الهائج فضلا عن الإنسان وهرعت متعمدة تفتح له الباب حالما سمعت صوت أقدامه على الباب طامعة في كلمة رضا أو حتى نظرة تشجيع وكم كانت خيبة أملها أكبر من الدنيا وما حوت وهو لا ينظر إليها أصلا وإنما يأمرها ونظره مشيح لبعيد بكل استهزاء وسخرية إلا تعود للتعطر ويمضي في طريقه ولا يكلف نفسه حتى أن يلاحظ ما فعلت لقد تمنت يومها الأرض أن تبتلعها أو تسقط ميتة لا حراك فيها فقد كانت الإهانة من القسوة والرعب بحيث لا يستطيع قلبها التعس أن يقبل بعدها شيئا إلا الموت، المسكين لا يعلم أن النساء لا مجاملة أو تنازل عندهن في موضوع أنوثتهن البتة إنه من الحساسية والخطورة في تكوينهن كحمل زجاج على ظهر جمل شرود ينبغي إلا يكسر منه قارورة واحدة.

ومع هذا اضطرت لأن تعتذر منه مبدية أشد الأسف بعد أن غسلت وجهها وأزالت زينتها عن هذه الجريمة النكراء التي أقدمت عليها ... وهز هو رأسه مبديا قبول اعتذارها ومضى في حاله .... يحتاج المسكين إلى وقت طويل جدا ليعرف نفسية المرأة وكيفية تفكيرها ونسيج تكوينها فالمرأة صغيرة أو كبيرة مهما كانت سنها تبقى طفلا مشاكسا معاندا ولا أجمل منها وهي رافعة أنفها إلى السماء مبدية كذبا وتزويرا أنها على صواب ولو أدى بها ذلك إلى القول بأن الشمس تشرق من الغرب وتغرب في الشرق إنها تتمسك بعنادها الطفولي العفوي الجميل بلسانها وتأبى الاعتراف بخطئها أما اعتذارها الحقيقي فلا تنطقه صوتا وإنما يمكنك أن تراه وتلمسه فعلا فقد يكون وجبة شهية لذيذة طال انتظار شريك حياتها لها أو جلسة حانية هانئة أو ملاطفة ومداعبة ومزاح أو عطفا وحنانا يفيضان على محبوبها الذي يحتمل عنادها وضوضاءها ويتحمل راضيا عواقبهما ،،، إنه عالم المرأة السري ودهاليز نفسيتها الأنثوية المتوارية تحت أقنعة الطبيعة عن الأعيان.

وكما تحتاج الورود للمياه لتبدو زاهية يانعة تحتاج المرأة دائما لجرعات متكررة من كلمات الإعجاب والإطراء والتشجيع لتشعر بالرضا على نفسها ومستقبلها وتشع وتبذل وتعطي وتحس الأمان من مخاطر الحياة وتتمكن من مجابهة صعوباتها ولا يهم أن تكون هذه الكلمات صحيحة مائة بالمائة أو حتى صفر في المائة المهم أنها تسمعها لأنها ستقبلها وتصدقها كلها فالحقيقة في هذه الأمور هي آخر ما تفكر فيه المرأة ولكن لم يحدث أنه أسمعها كلمة واحدة ،، انها تزداد ذبولا لذلك.

- القلب لا ينبض بلا دم ولو كان من حجر

اليوم الأمر مختلف فليس هو الذي حملها إلى دار أهلها وأقسم إلا يرجعها بل هي التي أعدت في صمت أغراضها وحقائبها واتصلت بشقيق زوجها وطلبت منه حملها إلى أهلها

وقالت له وهي تنزل من السيارة: أبلغ عادل أنني لن أعود.
وعبثا ذهبت محاولات والدها وضغوط والده وتدخلات الأقرباء والأصحاب.
ترى هل نست كراسة يومياتها التي ختمتها بعبارة لم يستطع فهمها قط تقول: القلب لا ينبض بلا دم ولو كان من حجر ،، أم تركتها خلفها متعمدة؟ ،،،
لا أحد يعلم ،، ولكن الذي حدث أن عادل سرعان ما تزوج من فتاة طالما أعجبته بقوامها الملفوف الممشوق ولفتت نظره بوجهها الجميل وحيرته بعينيها الواسعتين وأثارته بفمها الرحيقي المختوم وأسنانها البيضاء كاللؤلؤ الناصع بمجرد أن تمكن من الطلاق.

- أول ما نتعلمه عن المشاعر أن لها ثمنا باهظا

وهو اليوم يعيش حياة مستقرة ولا يحمل زوجته غاضبا إلى أهلها، ولكنه يطالع كراسة اليوميات كثيرا رغم مرور سنين طويلة على الفراق ويشعر بألم شديد لا يعرف له تفسيرا ولا يجد له شرحا، وصار يتأكد عنده الشعور بخيبة الأمل وأنه يعيش حياة خالية لا معنى لها وأن زوجته ليست أكثر من صورة جميلة تصلح للتعليق على الجدار أو في فترينة زجاج ولكنها جوفاء خالية من المعنى والحياة سطحية التفكير يشعر معها دائما أنه يعاشر امرأة لا هم لها إلا الزيارات والسوق والتلفزيون والصياح على الأولاد والتذمر والشكوى من كل شيء وسلسلة طلبات لا تنتهي إلا لتبدأ من جديد إنها كالطبل الأجوف فارغة من المحتوى تماما أما صورتها فقد حولها التكرار والروتين اليومي بعد ثلاثة أشهر إلى شيء مألوف لا مزية له خصوصا وقد تساقطت بعض أسنانها وترهل خصرها لكثرة الأكل فصارت مثل الكمثرى مفلطحة من الوسط نحيفة ما سواه لكم صار يكره أن يسمعها تقول له وهي تمضغ الماستكه: عادل غير اسمعني أنا أنحبك لكن انت تغيرت.

- بعض الناس يقطعون وعودا وينسونها ومهمتي أن أنعش ذاكرتهم

شتان بينها وبين تلك المرأة الذكية الناضجة ذات المواصفات الفخمة الرفيعة المستوى المرسومة بوضوح تام في كراسة المذكرات المنسية، الحقيقة أنه ما عاد يدري هل أصاب أم أخطأ إذ تزوج هذه وطلق تلك، وزاد حيرته أنها تعيش هانئة مرتاحة مع الرجل الذي تزوج بها بعده والذي من الواضح أنه يحترمها ويقدرها كثيرا ولم يحدث أن جاءت إلى أهلها غاضبة منه أو شاكية وأنجبت أولادا نجباء وبنات لطيفات وأسست أسرة ناجحة محل احترام الأهل وتقديرهم.

إعترافات

في نهاية كل نفق مظلم هناك ضوء دائما لأن فرج الله يأتي عبر طرق لا نتوقعها ولأن لله رجال ينهضنا سبحانه على أيديهم بأساليب لا ندركها في وقتها ولكنهم قد يهجروننا – لاسمح الله – بالطريقة نفسها فلا نجد للحياة بعدهم طعما ولا معنى.
==============

الإعتراف الأول:

{أهم الأشياء في حياتنا تحدث من دون أن نخطط لها}

هل خططت ليوم مولدك وساعته ومكانه، وهذا الأب ذو الشيبة في رأسه والتجاعيد التي رسمها الزمن على محياه الذي ترفع رأسك عاليا مفتخرا به وهذه الأم الطيبة الحنون الصابرة الباذلة المعطاء هل أنت من خطط ليكونا هما والديك دون باقي الناس، وتلك المرأة ذات الابتسامة الجميلة والشعر المجدول والوجه الناعم المصقول التي تشاركك حياتك وتقاسمك العيش بحلوه ومره أتذكر تلك الظروف التي توالت حتى انتقلت من دار أبيها وأمها لتكون زوجتك هي بالذات دون كل النساء أم نسيت، وهؤلاء الأبناء والبنات حولك بارهم وعاقهم مسعدك منهم ومحزنك أتراك خططت لهم ليولدوا بهذا الشكل أو الخلق وهل كنت تعلم كم ستنجب منهم وأين ستنجبهم، وهل خططت لأين ستعمل وأين ستسكن و..و..و.

راجع تاريخ حياتك أيها الواهم وانظر بتمعن لأهم أحداث عمرك واعترف أن الخطوات الرئيسة في كل حياتك إنما جاءتك هي إلى عندك وطرقت بابك ثم فتحت هي بنفسها الباب ودخلت برغبتك وموافقتك أو من دونها.

لذا حاول إلا تكون مغرورا مدعيا بطولات معارك لم تخضها وقرارات لم تتخذها.

الإعتراف الثاني :

{عندما تحارب الوحوش حاول إلا تتحول إلى وحش}

رغم كل ما أدخلناه على حياتنا من تكنولوجيا ورفاهية وأننا نقلم مخالبنا - اسف - أقصد أظفارنا ونغسل جلودنا بالصابون ونتعطر بأغلى العطور وأننا نلمع أنيابنا – اسف – أقصد أسناننا بالفرشاة والمعجون ورغم القوانين التي نسنها والمدارس والجامعات التي نرتادها والثياب والبدل الأنيقة والكرفتات الجذابة والأحذية اللامعة، إلا أننا لازلنا نعيش حياة الأدغال وقوانين الغابة بكل معنى الكلمة.

صدقني فقد خبرت الدنيا بما فيه الكفاية عندما أقول لك أن هناك قتال ضار يدور بين الناس

كل يوم بل كل ساعة حول أشياء معظمها لا يستحق ، مكائد ودسائس ووشايات وفتن وأكاذيب ونفاق وشجار وتباغض وأحقاد وابتسامات زائفة وأحضان وقبلات على الوجوه وأمنيات في القلوب بغرس نصل سكين حاد في قلب من يحضنه، أما عن الحروب بالرصاص الحقيقي والمدافع والطائرات الحربية والقنابل فلا يلزمك لمشاهدتها إلا أن تضغط زر ريموت التلفزيون وستشاهدها بأم عينك يوميا على الهواء مباشرة.
هي حالة حرب دائمة ... يا الله سلم.
قلة فقط من احتملوا العيش في مخابئ السلامة بعيدا بأنفسهم وأفكارهم ومعتقداتهم عن مسرح العمليات العسكرية الدائر بين الناس في الشوارع ومكاتب العمل وحقول الزرع وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة أحيانا، ولكن قد تعثرُ عليهم الوحوش – آسف – أقصد الناس ويمارسون عليهم عاداتهم المؤلمة الدامية فيضطرون مرغمين للدفاع عن أنفسهم وياله من امتحان عسير على حملة القيم وأهل المُثل إذ منهم من ينجح ويحافظ على موقعه رغم ضراوة العراك ومنهم من يعترف أمامك وهو في قمة الأسف والخجل أنه اضطر لأن يكون وحشا .... والنتيجة يا خيبتاه هي فقد إنسان وكسب وحش جديد.

<u>الإعتراف الثالث :</u>

{تضع قناعك على وجهك ومع مرور الوقت تنسى ما تحته}
أنت تتذكر جيدا ذلك اليوم حين جاوزت سن الصبا وتركت الدراسة ودخلت معترك الحياة، وتتذكر جيدا أنك اصطنعت لنفسك منذ ذلك الحين صورة ممتازة تتكون من شعر مصقول مغسول بالشامبو ومدهون بالجل أو صلعة وقور وتقطيبة معينة توحي بأهميتك وخطورتك وبدلة جديدة وبعض القمصان والسراويل والأحذية وسيارة خاصة أمام الباب.
أنا متأكد أنك تعودت على هذا القناع الذي ترديه ولا تكاد تجد الوقت لتنزعه عن وجهك ليلا أو نهارا خصوصا وقد أدى دوره مع مرور الوقت وصار جزءا طبيعيا معتادا من تكوين حياتك ووجودك.
ولكن دعني أسألك .... ترى إلا زلت تذكر وجهك الحقيقي الموجود خلف القناع بعد كل هذه السنين؟.
اعترف بالحقيقة من فضلك.

<u>الإعتراف الرابع:</u>

{إنها ترى وجها في المرآة ولكنه ليس وجهها}

لقد حرمها الله تعالى الحسن والجمال فوجهها يفتقر إلى لمسة جدتها حواء تقاسيمها جامدة وابتسامتها منفرة وأنفها مسطح وبدنها يفتقر للرقة والانسياب حتى صوتها مشروخ كأنها قادمة للتو من صراخ في عزاء ميت وهي تعترف أنها ليست فتاة أحلام أو يقظة أحد، وتنظر إلى المرآة وترى ما تعكسه فعلا ولكنها متأكدة 100% أن هذا الذي تراه ليس وجهها البتة.

فهي طيبة ودودة حنون كلها حنان ودفء ومليئة حتى التخمة بعواطف لو سكبت على أرض الصومال لصافح مقاتلوه بعضهم البعض في الشوارع، ولكن الناس لا يرون الوجوه الحقيقية وإنما يرون ما تعكسه المرآة.

دع هذا العجوز أحمد القطعاني الذي خبر الدنيا ورأى وجهيها وعاش دهريها واكتوى بناريها يعترف لك .. بأن وجوه كل الخلق حسان كالبدور وأن كل الناس جميلة كالورود والزهور .. لماذا لأنها خلقة الله تعالى وكل خلق الله جميل .

وإنما يكون المرء قبيحا أو جميلا بما يقول ويفعل وهو أمر كما ترى بيدك أنت وحدك يا صانع القبح والجمال.

الإعتراف الخامس :

{تحت ثيابي يوجد أكثر من لحم ودم ، توجد فكرة والأفكار لا تموت}

مسكين أنت ياعدوي الحاقد ركب ظهرك الشيطان أخزاه الله وامتطاك من غير أن تدري ليسوقك وهو يضحك إلى ما يضرك ومالا ينفعك ويقذرك ولا يطهرك .. أنت تضيع عمرك ووقتك فيما لا طائل من ورائه .. كم أرثي لك وآسف لحالك ... هل تظن أن ثيابي تبلى أو أنك إن نلت مني بلسانك وأكاذيبك، وكيدك وفتنك تستطيع أن تغير واقع اليوم أو واقع الغد وبعد الغد ... هذا غباء منك وغفلة وعمى بصر وبصيرة لأن تحت هذه الثياب التي تراها يا مسكين لا يوجد فقط لحم ودم وإنما يوجد ما هو أكبر من ذلك بكثير وكثير توجد معتقدات عظيمة راسخة وأفكار مستنيرة بناءة وآراء تحيي القلوب وتصلح القوالب ومُثل ورثت عن عمالقة عظام كرام عطر الله مراقدهم ونور وجوههم أتشبث بها كل حياتي الدنيا وما بعدها ومبادئ كالطود تتزحزح الجبال عن أمكنتها ولا تتزحزح هي، وكل هذه القيم لعلمك لا تموت ولا تتأثر ولا تبلى بل هي حية شابة على الدوام فلا تتعب نفسك فيما لا طائل من ورائه.

الإعتراف السادس:

{بين الفرح والحزن في المسافة بينهما يوجد الخوف}
لا يوجد في الدنيا من لا يخاف حتى أنبياء الله ورسله الكرام وهم صفوة الله وأكثر الناس إيمانا وأمنا خافوا.
ألا يحدثنا القرآن الكريم عن خوف زكريا الموالي من بعده {**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا** - مريم 5}.
وعن ذلك الموقف العظيم عندما واجه جند الحق صحبة إمام الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظلام الباطل وأهل الشرك إنها الحرب والخوف أحد مظاهرها الطبيعية {**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ،فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ** - البقرة 238،239}.
وسيدنا موسى خاف فرعون وقومه {**فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ** - الشعراء 21} وفي الصباح جعله الخوف يترقب ويستشرف الأخبار والأنباء {**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ** - القصص 18}، ثم وبكل وضوح وجلاء هاهو باطن نبي الله موسى تطلعنا عليه الآيات الكريمة {**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى** - طه 77}، وحتى الذين امنوا مع موسى وبرفقته ألم يكونوا خائفين؟ {**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** - يونس 83}
وإياك أيها المؤمن أن تخاف الشيطان وأولياءه {**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** - آل عمران 175}، لماذا؟.
لأن الله سبحانه يكفيك الشيطان وحزبه {**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** - الزمر 36}.
والسبب هو:
أن الخوف غريزة أودعها الله تعالى في كل مخلوقاته الحية حتى الحشرة الصغيرة والفيل الضخم حتى الطائر الوديع المغرد في الجو والأسد المتجبر بزئيره المرعب في أرجاء الغابة، لقد ركبت في المخلوقات جميعها غريزة الخوف لحفظ النوع ولولاه لانقرضت الخليقة.
ولكن؛؛ أين يقع الخوف؟
سؤال كثيرا ما حيرني وبحثت عن إجابته وأخيرا بعد كل هذا العمر استطعت أن أحدد مكانه

... أتعلمون أين؟
لقد وجدت إنه يقع في المنطقة الواقعة في المنتصف تماما بين الفرح والحزن.

الإعتراف السابع :

{عندما يقصر النهار وتطول الليالي أفتقدك}
هل كانت فراشة ربيع مزركشة محلقة بألوان بديعة زاهية انتهى أجلها في أيام الخريف فتلاشت؟
أم كانت وهما من شمع صنعه خياله التعس وظنه واقعا أشرقت عليه شمس الصيف الحارة فأذابته؟
أم ماذا؟
كانت كما يريد ويتمنى تماما حتى لو أنه طُلب منه أن يرسم فتاة أحلامه ويحدد أوصافها الظاهرة والباطنة بمنتهى الدقة للملائكة الكرام ليأتوه بها له على طبق من ذهب لما استطاع أن يجعلها أحسن منها، حتى اسمها تفوح منه رائحة الياسمين الزكية التي يفضلها بطبيعته عن كل روائح الدنيا.
كانت ذات سمرة ليبية رائعة وصوت ناعم متذبذب كأنه عزف بيانو وقوام معتدل كغصن شجرة زيتون تثاقلت أغصانه بالثمر وإذا مشت كانت كجريدة نخلة تداعبها نسائم ربيع أما كفاها فقد رسمتا على نموذج مودع ولا يدري كيف أو متى في دهاليز باطنه منذ وعى الدنيا فهي كفوف رشيقة ناعمة ندية تتعرق كثيرا منسابة من منبتها لآخرها كأنها حبة بلح برلصي في آخر الموسم أما أنفها فمن النوع الفضولي المشاغب الذي يأبى إلا أن يحشر نفسه في كل شيء، ذكية ليبية تتجاوز عن الهفوات والأخطاء بعيدة الغضب والنكد قريبة الرضا والابتسام حديثها عذب ودمها خفيف مخلصة وفية حنون قريبة الدمعة من العين إذا ما أحست بألم من حولها أو معاناتهم ... كانت حلم الحياة وأمنية العمر ورأسمال السعادة ومكسب الأيام وبهجة الصباح وابتسامة المساء وشبع الجوع وري العطش وكسوة برد الشتاء وبرد حر الصيف.
إنه يزداد لها فقدا في كل يوم خصوصا مع تقدمه في العمر بعد أن أرته الحياة ما أرته وعلمته ما علمته وما شاهده يحدث داخل البيوت بين ذكور الدنيا وإناثها لقد تأكد له أنها كانت من سلالة انقرضت من بين بنات حواء بل ربما كانت هي آخر مولود منها..... رحمها الله.
مسكين لقد بخلت عليه الدنيا ... لذا يكاد لا يمر يوم إلا ويتنهد وينادي بصوت أحيانا وغالبا

بلا صوت: أين أنت؟

الإعتراف الثامن :

{لا يجب أن تكون الأحلام واقعية}

لماذا تريد أن تقيد أحلامي بقيودك الصلبة دعني أحلم بما اشاء يكفي أنك قيدتني في اليقظة أتريد أن تدخل بيني وبين أحلامي أيضا.

بالعند فيك أحلامي لا علاقة لها أبدا بواقعك الضيق وقيودك القاسية فأنا أسافر لعلمك في أحلامي من السماء الأولى إلى السماء السابعة كأنني راكب على البراق وأرى من وما بها وأتكلم مع أهلها وعمارها وأجول أيضا في بقاع الأرض من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها بلا جواز سفر ولا تأشيرة ولا طائرة ولا سيارة وأتكلم معهم بكل لغات الدنيا لا أحتاج من يترجم لي كلمة واحدة.

ولو أخبرتك عن أحلامي أكثر لأذهلتك إذ هي متداخلة لا يوجد بها حدود بين الماضي والحاضر والمستقبل إنها أكبر من الأزمنة وأوسع من الأوقات فتارة أنا صبي جالس في أيام مضت عندما كنت ألهو باللوح من خلف شيخي المنهمك بكل تركيزه في شرح متن ابن عاشر في الفقه المالكي لنا أغافله وأحادث زميلي الجالس بجانبي ثم تقفز بي أحلامي من ذلك الزمن الماضي البعيد إلى مستقبل أرى فيه شيخا لي آخر وقد عاد من الجنان لمنزله القديم في حي الكيش ببنغازي ليجلس على الحصير بجسمه النحيل وثيابه الفقيرة يعطيني خلاصة المعرفة وشهد الذوق في عالم الأذواق.

من قال لك أن أحلامي واقعية .. أنا أعيش عالما لا تعرفه أنت وهو لو تأملت الحياة نفسها.....

الإعتراف التاسع:

{في الظلام تكون كل الألوان لونا واحدا}

من يحاول اقناعك بأننا نسخة مكررة من بعضنا البعض هو جهول لا يعرف عن سنن الكون وقوانينه شيئا، فالتنوع هو أساس الوجود .. انظر حولك هل ألوان البشر وأطوالهم وأوزانهم ووجوههم واحدة، وهل الأشجار والنباتات والفواكه والثمار والزهور كلها صنف واحد، وهل الحيوانات كلها غزال فقط أو ضبع فقط، وهل الفصول هي خريف أو ربيع فقط ...وهل ...وهل ...وهل؟

والجواب لكل ما سئلنا وما لم نسأل هو كلمة النفي (**لا**) بحجم قارة أفريقيا كلها.

إذا متى تترك كل الألوان صورتها الأصلية المميزة الخاصة بها التي جبلها الله عليها لتكون فقط لونا واحدا؟.

والجواب هو: أنك متى فقدت التمييز بين الألوان وتحولت أمامك كلها إلى لون واحد مكرر فاعلم أن العدل ارتفع ليحل محله الظلم وأن النور احتجب لتحل مكانه الظلمات وأن التجبر والقهر هما الصفتان السائدتان بين الناس.

لذا احترم اراء الآخرين وإن كانت لا تعجبك، وانظر لهم واسمعهم وتقبلهم بروح رياضية وإن كنت لا تتفق معهم في الرأي ووجهة النظر، وقدِّر مشاعرهم وخالفهم ولا تكرههم ولا تجبرهم على أن يكونوا كلهم على رأيك ووجهة نظرك لأنك عندها ستكون من أعداء الألوان وتتسبب في قلة عددها حتى تصل بها في خاتمة المطاف لأن تكون لونا واحدا فقط ومعنى ذلك أنك تعيش في الظلام.

قصة ناى

كل من افترق عمن يتحدثون لغته ظل بلا لسان وإن كان لديه ألف صوت .
من ديوان المثنوى لمولانا جلال الدين الرومى .
============

أعرفكم بنفسى،،، الفقيرة التي تتحدث اليكم مخلوقة صفراء اللون مجوفة ناحلة العود مفتوحة الطرفين متوسط قامتي يبلغ في الغالب 40 سم وقد أطول وأقصر، أما وزني فلا يتجاوز جرامات معدودة حتى الطفل الرضيع يستطيع أن يحملني بيد واحدة دون أي عناء أما سني فصدقوا أو لا تصدقوا أننى أكبر منكم جميعا بل وجدت على هذا الكوكب قبل أن تطأه قدم جدكم آدم بأسرته الناشئة قادمين من رياض الجنة كنت وقتها عبارة عن قصبة مجوفة ملقاة على سطح الأرض تنفخ الرياح إذا ما هبت في جوفي فأصدر مضطرة أصواتي استجابة لها.

وعندما وجد الإنسان على سطح هذا الكوكب لفتُّ نظره وأصاخ ليَّ السمع فأعجبته فالتقطني وشذب أطرافي وصار هو الذي ينفخ في جوفي من صدره بدل الريح وبالمناسبة أنا وشقيقتي إيقاع أول ما عرف الإنسان من أصناف الموسيقى.

لا أنكر أن الإنسان طورني كثيرا وقد دون ذلك في تاريخ البابليين وقدماء المصريين وغيرهم وأضاف لي فتحات مصفوفة بانتظام تزيد وتنقص وإن كانت عادة لا تزيد عن الست يسدها ويفتحها بأصابعه لأصدر له النغمة التي يريد.

صحيح أنني أرخص الالات الموسيقية سعرا بل قد تجدني أحيانا في يد طفل لم يدخل المدرسة الابتدائية بعد اشتراني بقروش معدودة حصل عليها من أمه أو جدته، ولا أستطيع أن أتخيل نفسي في فترينة زجاج واحدة مثلا مع ذلك الكمان الرائع مثلا الذي صنعه ستراد يفاريوس سنة 1721 م وبيع سنة 1971م بسعر 84 ألف جنيه استرليني ويقدر اليوم بربع مليون جنيه استرليني، ولكن مع هذا لا تستهينوا بي فمع كل هذه الصفات المتواضعة فإنني بلا فخر طالما سبيت عقول كثيرين بقوامي المياس وجمالي الطبيعي الأخاذ فهاموا بي حبا حتى ما يستطيع أحدهم أن يبعدني عنه وإن فعل لأيام لا يلبث أن يأتيني متشوقا متلهفا ليقبلني بشفتيه العاشقتين مدة تطول أو تقصر وقد تمتد لساعات، وربما سمعتم عن شاب إيرانى عمره 18 عاما اسمه سينا بايمارد حكم عليه بالإعدام في طهران سنة 2004 م وعندما سألوه عن رغبته الأخيرة، قال:

أن تسمحوا له بالعزف على الناي قبل تنفيذ الحكم،، فسمحوا له ثم عفوا عنه بفضل الله بعد ذلك.
ولا زلت أذكر حزني الشديد سنة 850م عندما توفي زُنام في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية إذ هو أول من اشتهر في التاريخ العربي بإتقان العزف على الناي ولطالما أطرب وأسعد مجالس خلفاء دولة بني العباس هارون الرشيد والمعتصم والواثق، وعندما تسمعهم الآن في المغرب العربي يطلقون على عازف الناي اسم الزلامى فهو لفظة محرفة من الزنامي نسبة له.
عشاقي أصناف شتى فمنهم ناس عاديون جدا ولكنك ستفاجأ عندما تجد في القائمة أيضا أسماء علماء ومفكرين وفلاسفة وأدباء وشعراء وفنانين وحتى أكابر العارفين من السادات الواصلين أهل الله تعالى رضوان الله عليهم.
تسمعون قطعا بمولانا جلال الدين الرومي شيخ الطريقة الصوفية المولوية التي تنتشر بين الملايين في أسيا وأوروبا والأمريكتين هو الآخر كان من عشاقي وأحبابي وكثيرا ما ضمنى إليه واحتواني بيديه المباركتين ونفخ من صدره الشريف في باطني لأتمايل بين يديه طربا وأتحول بأمره إلى سيمفونية نور تنبعث منها أصوات ملائكية وأنغام علوية أما ريقه العذب الذي كنت أتذوقه إذا ما ضمني بشفتيه فهو أحلى من الشهد وألذ من العسل آآآآه كم أفتقده وأحن اليه ، وكم أحيي أبناء الطريقة المولوية الذين ساروا على درب شيخهم من بعده وبقوا على ذلك يقيمون حلقات السماع على أنغامي الشذية إلى هذه الساعة.
وقد تكلم رضي الله عنه مرارا عني في ديوانه المثنوى بل أنه خصص الـ 18 بيتا الأولى في المثنوى للحديث عني ومنه أبيات اسمحوا لي أن أترجمها لكم إلى اللغة العربية، قال:
اسمع الناي إذ يقول لك: ما أن قُطعتُ من أصلي في مزرعة القصب حتى بدأت أحن وأئن وأشكو الآم الفراق والناس يئنون معي لأنهم انقطعوا مثلي وكل من انقطع عن أصله يبحث عنه، وهذا الهواء الخارج من فتحاتي هو نار وليس هواء انه نار العشق التي أوقدت في داخلي فجعلت الخمر تفور ومن لا يمتلك هذه النار فهو ميت.ا.هـ.
أفهمتم ما قال هذا الرجل الفذ؟

الحقيقة أن هؤلاء الناس العظام هم ثروتي الحقيقية التي جمعتها على مر العصور وهم دائما مصدر فخري واعتزازي ولأجلهم تحملتُ الكثير من المظالم ولا زلت أتحمل، كيف وهاهو موسيقار العالم بيتهوفن يفتقد صوتي بالذات دون سائر الالات الموسيقية بعد أن فقد سمعه وصار أصما ويقول عني:

يا لشدة ألمي عندما يسمع أحد بجانبي صوت ناي لا أستطيع أنا سماعه.ا.هـ.
ولا أنفرد حقيقة بهذه العلاقات الطيبة الوطيدة مع الإنسان وحدي فالأفارقة الذين يعيشون في الكويت مثلا يخلعون أحذيتهم إذا دخلوا البيت الذي به آلة الطنبورة الموسيقية احتراما لها، أما في أفريقيا فالآلات الموسيقية عاشت عمرها سر مقدس تتوارثه الأجيال حتى إذا سطع عليهم الإسلام بنوره المشرق الوضاء صارت جزءا من حضارتهم الإسلامية السامية، وبعيدا في أقصى الشرق في الهند تعتبر موسيقى الراجا صلاة دينية.
أعذروني ففؤادي يكاد يطير هلعا إذ أنا الآن في جيب صديق لى نقوم بواجب عزاء ونستمع لدرس يلقيه رجل دين تبدو عليه الخطورة والأهمية كث اللحية متجهم الملامح مقطب الحاجبين وهو يصب لعناته علي ويتوعدني بأنني في النار وكذلك من ينفخ الحياة في عودي ويصفني بأنني مزمار الشيطان ولا أدري حتى الآن ما علاقة الشياطين بالموسيقى وهل استمع هو أو رأى الشيطان يرتقي بإحساسه إلى مستوى الموسيقى، وليتنى أستطيع أن أوجه لحضرته سؤالا فأقول:
إن كنت أنا مزمار الشيطان ماذا عن أصوات الناس وهم يتبادلون السب والشتم واللعن، وماذا يكون صليل السيوف وأصوات المدافع وأزيز القنابل وقذائف الرصاص التي تفتك بالناس وتحيل الأطفال والأبرياء أشلاء لم أسمعك تتعرض لها أو تستنكرها ،،، أتراها مزمار الملائكة؟.
أعتقد أن العكس هو الصحيح و أن الملائكة إذا ما تكلمت ما نطقت إلا بأعذب أنغام الموسيقى.
والأغرب من ذلك أننى أسمعه يقول بمنتهى الثقة: إن الجان يحبون صوت الناي ،،، ترى من هو الجان الذي أخبر هذا المسكين بذلك؟
صدقوني أنا لا أستغرب هذه المجازفات والادعاءات منه لأنه يأكل عيشه ويحقق وجوده بمثل هذا الكلام ،، ولكننى أستغرب استماعكم له وانخداعكم به.
تاريخ اليوم هو 2/ 7/ 1985م وأنا الآن مطارد أرتجف رعبا وهلعا ومختبئ في درج صديق قديم في غرفة نومه ومطلوب حيا أو ميتا ومضطر للاختباء عن الأنظار لفترة بعد أن أعلنت علي الحرب رسميا إذ أخذ أحد الثوريين المهمين الحماس كل مأخذ فأصدر قرارا بمنع مادة الموسيقى في المدارس بحكم منصبه فهو أمين للجنة شعبية عامة ومسؤول كبير في أكثر من موقع وقد أمر الشرطة بجمع الآلات الموسيقية في الساحة الخضراء بطرابلس ومصادرتها من المتاجر والباعة وجلبها في شاحنات من المدارس وسواها وتكويمها

وحرقها لأنها أدوات غربية رجعية هدفها الاستعمار الثقافي وأنها عميلة للعدو أو جاسوسة لا أدري فعند هؤلاء دائما الكثير من الكلمات الكبيرة جاهزة لتبرير أفعالهم، ليس هذا فقط بل أصدر أوامره لشرطة المرور بأخذ أي شريط موسيقى يوجد في أي سيارة تمر في الشارع وكسره أو حرقه إنه مثل رجل الدين سالف الذكر بل صورة مطابقة منه فذاك يلوي ويمتطي نصوص الدين لتحقيق نفوذه وإرهاب الناس وفرض أفكاره وآرائه الشخصية وهذا يستعمل الأساليب السياسية والوسائل الايدلوجية للغرض نفسه انهما وجهان لعملة مزورة واحدة.

أنا أفضل عوضا عن تصديع رأسي بالاستماع لكليهما أن أستمع لفيروز بصوتها الناعم كجلد طفل رضيع الخلاب كبساتين مزهرة في الربيع وهي تغني من قصيدة المواكب لجبران خليل جبران:

أعطـــــن النــــــاي وغـــــن *** فالغنـــــا ســــر الوجــــود
وأنـــــين النــــــاي يبقـــــى *** بعــــد أن يفنــــى الوجــــود

أحيي جبران لاختياري تحديدا دون كل الالات الموسيقية الأخرى لأنني الأصل والأطول عمرا أولا، ولأنني خير مترجم لمشاعر الإنسان ثانيا، ولاختياره بحر مجزوء الرمل لنظمه الشعري لأنه الأقرب لأنغامي ثالثا.

أما قوله: (أنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود) فهى نظرية علمية مؤكدة مفادها أن كل ما صدر على الأرض وفيها من أصوات منذ أوجدها الله تعالى قبل ملايين السنين لا ولم يفن وإنما هو باق في جو الأرض ولو أخترعت آلة لالتقاط ذبذبته كما يلتقط الراديو أو التلفزيون أو الهاتف النقال ذبذبة أصواتنا عبر الأثير الآن لاستمعنا إلى أصوات المخلوقات المنقرضة وحوارات أجدادنا الأوائل.

إنها حجة الله على خلقه يوم الحساب - سلمنا الله وإياكم - فإذا ما أنكر العاصي فعله أسمعه الله تعالى صوته وما نطق به وحتى صوت خطواته على الأرض وقتها وحفيف حركة ذراعيه لتشكل معا صورة متكاملة حية لا يستطيع انكارها، فكانت شاهدا عليه: {**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** - النور 24}

أما عبد الحليم حافظ عندما غنى موعود من كلمات محمد حمزة وألحان نابغة الموسيقى العربية بليغ حمدي رحمهم الله جميعا، فقال:

بتصـــحى الطريـــق خطاوينـــا *** وأنــــــين الســــــنين

والســــما بتبكـــــى علينـــــا *** والنـــــــاى الحــــــزين

فقد كان مخطئا إلى درجة كبيرة بلا شك فأنا لست حزيناً ولا كل أصواتي حزينة كل ما في الأمر أننى أعكس أحاسيس من ينفخ في بدني وللأسف فجلهم حزانى كما لى أصوات عديدة أخرى منها الغربي والشرقي والمفرح والمضحك ومنها حتى الدواء إذ باستطاعتي علاج بعض أمراض المخ والأعصاب والتوحد والاكتئاب بل في سنة 1990م أدرج عازف ناي مصري اسمه رضا بدر آلة الناي كعلاج لبعض الأمراض النفسية.

ولمزيد معلوماتكم عندما كثرت الفئران في مدينة هيلمن الألمانية سنة 1284م وهددت الناس اضافة إلى فسادها في المنازل والحقول بكارثة إنسانية رهيبة هي الطاعون الذي تنقله ليفتك بالملايين وقتها إذ لم يكن الطب قد تغلب عليه بعد اتفق عازف ناى ألمانى اسمه (بون تينغع) مع زعماء ومسؤولي وسكان المدينة على أن يبيد كل الفئران والجرذان بمقابل فوافقوا فأصبح يعزف بي لحنا وهو يتجول في الشوارع فأخذت الفئران تخرج من جحورها وتتبعه من كل حدب وصوب حتى ساقها إلى النهر فأغرقها جميعا وتوقف عن العزف وأنقذهم من كارثة محققة.

أما بقية القصة فهي مبكية محزنة إذ رفض سكان المدينة سداد أجر عازف الناي فكان انتقامه شديدا رهيبا إذ عزف بي لحنا آخر فتبعه أطفال المدينة فقادهم إلى الجبل حيث كان آخر العهد بهم إذ لم يرهم أحد بعدها للأسف.

هذا يذكرني بالفيلسوف الفارابي وكان موسيقيا نابغا ولو وثقت موسيقاه لفاق بيتهوفن وبليغ حمدي وفريد الأطرش وموتسارت ومحمد عبد الوهاب وبافاروتي، وبالمناسبة الفيلسوف الفارابى هو مخترع صديقتي الحميمة آلة القانون الرائعة التي عزف عليها ذات يوم في مجلس الأمير المجاهد سيف الدولة الحمداني فضحك كل من في المجلس ثم عزف بها لحنا آخر فأبكاهم ثم عزف بها لحنا ثالثا فناموا جميعهم حتى البواب خارج باب المجلس فتركهم نياما وخرج.،،،، إنه سحرنا سحر الموسيقى ولا فخر.

أما مجاملتي لآلة القانون بوصفها بالصديقة الحميمة فراجع لكونها هي دائما مركز الفرقة الموسيقية التي أنا أحد أعضائها المُهمين وتستطيعون ملاحظة ذلك في التلفزيون عند مشاهدتكم لفرقة موسيقية تعزف صحبة مطرب أو منفردة وستلاحظون أن موقع آلة القانون هو دائما منتصف الفرقة تماما كما أن كل الفرقة تضبط - أو تدوزن حسب المصطلح الموسيقى - نفسها عليها، إنها أشبه بعريف الفصل الذي يكلفه الأستاذ بالإشراف على الفصل وضبط سلوكه فهو ليس مختلفا ولا أشطر من الطلاب الآخرين ولا حتى محبوبا

منهم ولكنه أمر واقع ينبغي مراعاته خوف الوقوع في المحذور مع الأستاذ الذي كلفه وباستطاعتنا في هذه الحالة أن نشبه الأستاذ بمايسترو الفرقة أي الذي يقودها فعليا ،، إنها على كُلٍ تشبيهات استعرتها من مدارسكم أرجو أن تنال رضاكم، وكنت أخذت فكرة عنها أثناء عملي موظفة بالتعليم عندما كنتم تدرسون مادة الموسيقى في المدارس قبل أن تلغوها غير آبهين ولا منتبهين لأهميتها القصوى وفائدتها للتلاميذ في صقل مواهبهم والارتقاء بسلوكهم وتهذيب طباعهم واستثمار أوقات فراغهم ووصلهم حضاريا بالعالم من حولهم ،،، هداكم الله.

والآن اسمحوا لى أن أتوقف عن سرد المزيد من قصتي الطويلة وأتركم في رعاية الله تعالى وحفظه فصديقي أحمد القطعانى الذي ترجع صداقتي به إلى زمن كان طالبا في مدرسة الأمير الإعدادية ببنغازى قد فرغ من صلاة العصر ومن عادته أن يعزف بي في هذا الوقت ولا أستطيع أن أخلف موعده ،، أستودعكم الله.

ذئاب ترتدى الأثواب

ركني الشديد الآمن وثروتي التي لا نضوب لها هم أحبابي في الله، انشغل بأمرهم وأسأل عنهم وأسعى في مصالحهم وأربي حبهم في فؤادي وأرعاه من كل غائلة وشائبة وأقضي يومي أدعو لهم، ويحلو لي أحيانا في غفلة منهم أن أعقد مقارنة أو أجري تشبيها بين مخلوقات الله وبينهم، ففلان مثل النخلة سموا ورفعة وعطاء، وفلان مثل الأسد قوة في الحق وثباتا، وفلان مثل المطر حيثما حل نفع، وفلان ... وفلان.
ولكن ليس كل بني الإنسان سواسية، فبقدر ما أفرح بهؤلاء وأسعد أحزن بسواهم ممن ضل طريق الحق وأتكدر، وتسارع إلى خاطري كالعادة صنوف التشبيهات والمقارنات، وأسرح بعيدا في سقايف البطنان ومرتفعات الجبل الأخضر حيث صنف من الذئاب له شعر كثيف يغطي جسمه يمشي على أربع ويجري من السيارة أسرع، يعيش في تلك الغابات والوهاد، له أنياب قاطعة وبراثن قوية ينقض على فريسته في وضح النهار فيزهق نفسها بعضة واحدة، ثم يبقر بطنها، ويقعى على أربعته يمزق جلدها وينهش لحمها والدماء تلطخ صدره وفاه.
ومع كل دمويته هذه وشراسته أراه أشرف وأنبل من أن أشبهه بذئاب من الذكور والإناث تمشي على اثنين ترتدي الملابس الثمينة وتحسن تصفيف الشعر وتلميعه والتعطر بغالي الروائح النفاذة وتقود السيارات الفارهة وتتكلم بنعومة وتوزع الابتسامات يمنة ويسرة.
كنت أسير الهوينى مرة في أحد الشوارع عندما شاهدت سيارة تقف على امرأة طويلة القامة حافية القدمين رثة الثياب يتبعها ثلاثة أطفال ما بين السابعة والاثنى عشر عشرة عاما، واتكأ سائق السيارة بجسمه محادثا المرأة وهي تثرثر معه بكلام غير مترابط وتلوح بيديها تارة وتشيح بوجهها ثم تقبل عليه وتحادثه تارة أخرى، والأطفال يمسكونها من ثوبها البالي المتقطع يمنعونها من الإقدام على أمر ما بالعويل والصراخ والكلام، ثم تحركت السيارة وتركت المرأة وأولادها في الشارع.
أمعنتُ النظر في المرأة فإذا بها في منتصف عمرها لا يحتاج المرء جهدا ليعرف أنها تعاني خللا عقليا، يلوح عليها أثر ملاحة لم يمحه ما خالط قسماتها من بؤس ومرارة، رسم الشقاء على وجهها خطوطا غائرة من الضنك والألم، ابتسمت في وجهي فلاحت أسنانها مكسورة وقالت الله غالب.
فرددت وراءها: الله غالب.
وابتسمتُ للأطفال ومضيت في سبيلي ، ثم سألت عنها فإذا بها امرأة مريضة عقليا عجزت

أمها الفقيرة عن إجبارها على ملازمة المنزل فخرجت إلى الشارع وما أدراك ما الشارع؛ فتلقفتها الأنياب والمخالب تنهش عرضها المستباح وتلوك ما تبقى من إنسانيتها من غير ما رحمة بعقلها المضطرب وظروفها البائسة، وأنجبت أولادا تجرجرهم خلفها في الشوارع لا يعرفون غيرها أما وأبا، وفهمتُ غرض الذئب صاحب السيارة وفحوى حديثه الآفك الخبيث معها وصياح الأطفال خلفها يمنعونها من الركوب معه، وقد تعلموا على صغر سنهم ما وراء ذلك.

أتصل الوضاعة به أن يطمع في امرأة كهذه يراودها عن نفسها، ويغوي عقلها المريض بالفاحشة، رباه يا رباه احفظ عبادك فلا تقع السماء علينا بذنوبنا فتسحقنا، ولا تنفضنا الأرض في الهواء فتبعثرنا ولا يطغى علينا البحر فيبتلعنا !!!.

امرأة يكدح زوجها في دكانته من الصباح إلى المساء ليكفل لها ولأولاده الرزق الحلال ويحقق لهم قدرا طيبا من الحياة الكريمة، فوفر البيت متسع الأرجاء والأثاث وما يلزم من متطلبات الحياة العصرية من سيارة وصحن ساتلايت على سطح الدار وثلاجة ورياش ويسعى بجد ونشاط لتحقيق أحلام تراوده على رأسها تزويج أبنائه، وأولادها في الجامعات والثانويات منهم الابن السعيد بشبابه الغض يقضي يومه جذلا مسرورا بين دراسته وأصدقائه، ومنهم البنت الفرحة المبتهجة بصباها مزاحها مع أخواتها وصديقاتها لا يكاد ينتهي، وعينها معلقة بالباب تنتظر خاطبا يطرق بين لحظة وأخرى ليتوج أمانيها بإكليل الزواج الطاهر ويودعها العش السعيد الذي تحلم به.

هذه المرأة تدوس بحذائها النجس بيتها بكل ما يمثله من قيم إنسانية مقدسة وتتنكر لزوج لا ذنب له إلا أنه أحسن إليها فتمرغ أنفه في الوحل وتطأطئ رؤوس أبنائها فكأنَّ على ظهورهم قناطير الروث والفرث أما بناتها فقد أحرقت مستقبلهن ووأدت آمالهن في حياة زوجية شريفة آمنة إذ ما عاد يجرؤ أحد على الاقتراب منهن بخير.

لقد استجابت هذه الذئبة لإغواء جار لها فانخدعت بكلامه المعسول وعواطفه الماكرة ينفقها من دون حساب، ووعوده السخية الدنسة يمنيها بها فسقطت معه في مستنقع الرذيلة العفن وسلمته طائعة مختارة شرف زوجها وأولادها وأهلها ينهشه ويغرس أنيابه الفاجرة فيه، ولم تكتف بهذا بل سافرت معه إلى طرابلس لقضاء أيام عفنة بعيدا عن أعين الرقباء في فجور وسفور ولا مبالاة يتعجب لها الشيطان الرجيم.

افتقدها الزوج وخاف عليها الابن وبكتها الابنة، ولم ينتبهوا من كابوسهم المريع إلا على أخبار سوداء كالحة وردت إليهم من جارتهم باكية حزينة تفيد أن زوجها هجرها ليهرب مع

أمهم التي يبكون لغيابها غافلين عن فعلتها.
قضى الذئبان أيامهما في ضيافة إبليس وعادا إلى بلدتهما وبعد أخذ ورد مع هذا القريب وذاك الصهر ونصائح من كبير عاقل وصغير ماكر تدخل العرف بحلوله الوسطية، وعادت بكل صفاقة وجه وقباحة نفس لتعيش مع أولادها في منزلهم الذي هجره الزوج مظهرة ندما كاذبا على ما فعلت متعللة بأعذار وأكاذيب تخدع بها من حولها.
لقد خلق الله سبحانه وتعالى الشهوات وركبها في بني الإنسان لتكون سببا في إعمار الكون وبقاء الحياة على ظهر الأرض، وأحاطها بسور من القيود، واشترط لها الزواج ونظم لها الحقوق والواجبات لا لتقود ابن آدم من أنفه في أكوام القمامة لينشر الرذيلة ويرتاد الفواحش، فحتى الذئاب الضارية في الصحارى تأبى هذا الفعل.
لقد أبدع الله سبحانه وتعالى خلقه في أحسن تقويم بيد أن بعضهم رفض هذا التشريف فانحط فرده سبحانه وتعالى إلى أسفل سافلين {**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** – التين 6}.
لا أجد ما أنصح به بعد القرآن الكريم والحديث الشريف والتفقه في الدين إلا الانتساب إلى الطرق الصوفية بما تكفله من تربية ناجعة وأسوة حسنة وخليل صالح وتهذيب ونصح، ففيها العصمة من الفساد والحفظ من الهلاك بإذن الله تعالى.
وبقدر ما دخلت الدعوة إلى الرذيلة في بيوتنا عبر الفضائيات حتى العربية منها بما تبثه من أغان خليعة ماجنة ومسلسلات وأفلام تضل الشباب وتغريهم بنمط من الحياة المنحلة دخيل علينا لا علاقة لنا به من قريب أو بعيد، فإنني على ثقة تامة واطمئنان كامل في أن هذا التيار المريب لا يجرف معه إلا نوعا من الناس كغثاء السيل فارغ يابس لا قيمة له، أما المتمسك بقيمنا الإسلامية النبيلة وأصالتنا القويمة فهو ماكث في الأرض بعزة وشموخ .
{**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ** – الرعد 17}. صدق الله العظيم.

صوت من الماضي

حتى لو مات صاحبه فالماضي لا يموت.

============

منذ أن دخل عبد التواب الجامعة وصار أكثر وعيا وإدراكا لما حوله وشعورٌ بالضيق والإحراج الشديدين والدونية عن أقرانه يتنامى في صدره وهو يستمع يوميا لأصحابه ورفاقه يرددون بكل فخر واعتزاز ما يرويه لهم اباؤهم عن طفولتهم البعيدة وذكرياتهم إبان سنيهم الأولى وأسرهم وأجدادهم وأهلهم إلا والده كأنه رجل بلا ماض فهو لا يحدثهم أبدا عن ذلك وأقصى ما يذكره لهم يبتدئ من ولادة أبنته الكبرى خديجة في المستشفى الكبير في بنغازي وإن ألحوا في السؤال تركهم ومضى إلى حجرته.

إنه يريد أن يفتخر بأصوله وأسرته ويروي قصصا ومواقف عن أبيه، خصوصا ورفاقه كثيرا ما يسألونه عن والده وكلهم فضول وإعجاب بجسمه القوي المتناسق وشدة البأس البادية بوضوح على وجهه والشجاعة المفرطة والثقة بالنفس الظاهرتان في تصرفاته وأسلوب مشيته وقعوده وكلامه لكأنه أحد أبطال الأفلام الأشداء الذين تعرض شاشات التلفزيون أعمالهم.

وعبد التواب كبير ناضج في سن تؤهله لتحمل المسؤولية الآن وقد أتم دراسته في جامعة قاريونس ومع هذا لا يعرف لنفسه جدا ولا عما ولا خالا ولا قبيلة ينتمون إليها هل ولد والده من حجر صلد؟ إلا ينتمي إلى أسرة؟ إلا ينتمي إلى قبيلة كباقي خلق الله؟،،

حتى اسمهم لا ينتهي كجل الناس بلقب أو قبيلة أو جهة كالشرقاوي أو الغرباوي أو الفزاني أو مدينة كالزاوية أو المرج أو مرزق أو صفة كالحداد أو النجار وإنما هو فقط عبدالله،، حتى الزيارات العائلية التي تحرص أسرته عليها جيدا لا وجود لقريب فيها وإنما فقط المعارف والجيران خصوصا العائلات المحترمة المرموقة منهم.

ـ قد لا نستطيع تغيير الماضي، ولكن ماذا عن المستقبل؟.

لكم يشعر بالإهانة أمام أصدقائه لهذا النقص في تكوينه الاجتماعي الأمر الذي جعله يلقي باللوم الشديد على أبيه وجعل شعورا غامضا بالرفض لأبيه يراوده أحيانا فيستغفر الله منه ويتعوذ من الشيطان ويلوذ بحصن حب والده واحترامه الفطري، سيما ووالده رجل طيب فاضل كريم صادق لا مزاح عنده في مواقف الرجال يبر قسمه إذا أقسم ولو على رقبته ويفي بوعده إذا وعد لا يخلفه قط، يحب أولاده ويفديهم بمهجته يسهر على راحتهم ويكاد

يموت إذا مرض واحد منهم أو تألم يدللهم ويبذل كل جهده لتوفير أفضل سبل العيش لهم وطالما حرم نفسه من احتياجاته الضرورية لإسعاد أحدهم بقميص أو حذاء أو مصروف يد مرفه، كما حرص دائما على أن يتعلم أولاده القرآن الكريم وكم كان سعيدا والفرح الحقيقي يتفجر من كل وجهه وهو يذبح شاة ويطعم الطعام ويوزع الحلوى ويستضيف الزاوية لقراءة الحزب وإقامة الذكر في المنزل يوم ختم ابنه معتز القرآن الكريم وفاز في مسابقة الحفاظ بشهادة عظيمة بروزها بإطار من خشب فخم مذهب وعلقها في وسط المربوعة يردد النظر إليها بمنتهى الفخر ويحدث كل ضيف يدخل المربوعة عن ابنه الحافظ وعنها، ويحتفظ بنسخة منها في حقيبة الجلد الصغيرة الخاصة به ذات القفل المحكم التي لا يطلع على محتوياتها سواه .

- البعض لا يستطيع أن يبتسم وهو ينظر إلى الماضي.

ولكنه يتصرف أحيانا بنقيض ذلك مائة بالمائة كأنه ليس هو الأب الحنون الشفوق الذي طالما عرفوه ،،، ياآآه ياللقسوة الرهيبة فيه أحيانا لكم كان مريعا رهيبا يوم علم بتعاطي ابنه الأصغر مصعب خمرا مع بعض رفاق السوء الذين تعرف عليهم حديثا في (سوق احداش) بحكم دراسته في مدرسة (التوريللي) بقربهم فأقفل عليه باب الحجرة وأخذ يضربه بقوة وعنف حتى كاد يشرفه على الموت، حتى خديجة ابنته البكر الشابة اللطيفة المدللة كاد يذبحها مرة لمجرد أن لاحظ بدايات علاقة لها مع شاب من دكاكين حميد صار يتبعها في (شارع التل) في طريق عودتها من مدرسة الزهراء ثم أخذ يتردد على شارعهم وهي تفتح له النافذة وتتبادل معه النظرات، وما تركها إلا وهي مغمى عليها من الضرب المبرح فهجرت النافذة إلى الأبد وانقطع الشاب عن المرور في الشارع بعد أن علم أن والدها ينتظره ليسوي به الأرض.

لقد حج أبواه بيت الله الحرام منذ مدة وصار اسمهما الحاج والحاجة والحقيقة أن والده ملتزم بالصلاة حتى قبل الحج بل منذ وعي عليه ويحب التردد على جامع بوخشيم لصلاة الجمعة والجماعة ، والاستماع إلى خطب ودروس الشيخ عبد الهادي بو اصبع في جامع كاربورني مفضلا دائما الجلوس في مكانه المفضل في حلقة الدرس مابين الفقيه بلعيد مؤذن الجامع والشيخ مفتاح الساحلي إمام الأوقات به، كما أنه يتردد على زاوية صوفية ليلتي الجمعة والاثنين يحضر الذكر والدرس بها وسمعته في عمله والشارع وفي حي الصابري كله حيث يسكنون محترمة مقدرة كالذهب التبر لا تشوبها شائبة على الإطلاق .

الحاجة نعيمه أيضا هي أم ممتازة وهي امرأة أمية لا تقرأ ولا تكتب ولكنها أنيقة المظهر

جميلة الطلعة لا تزال تبدو كأنها شابة رغم أنها في طريقها لتكون جدة في فترة ليست ببعيدة
وهي ربة بيت مثالية تجيد الطهو ورعاية المنزل، ورغم أنها ثرثارة بالفطرة لا تكاد تسكت إلا أنها في هذا الموضوع مثل الحاج لا تقول لهم شيئا عن أهلهم أو أهلها على الإطلاق وهي مع هذا متحدثة بارعة وإن كانت ألفاظها غالبا سوقية كأنها تلتقطها من الشوارع وكثيرا ما وبخها الحاج على ذلك، وهي أيضا ذات خبرة واسعة في أمور النساء لا تكاد تغيب عنها فتاة في الشارع يأتينها تعلمهنّ كيف يتأنقنّ في ملبسهنّ ويمشينّ ويتحدثنّ ويتزيّنّ ويسرحنّ شعورهنّ ويفرقنّ بين الرجال ذوي النية الحسنة تجاههنّ أو السيئة وكيف يعاشرنّ أزواجهنّ ويكسبنّ قلوبهم وكيف يحبلنّ أو يتجنبنّ الحبل إنها أشبه بمدرسة لتعليم الفتيات مالا تعلمه المدارس أو الأهل لهنّ من أسرار الحياة، كما أنها دائما جاهزة لمساعدتهن بنصائحها وصيدلية عطريتها الخاصة التي تحتفظ بها في صندوق السبع رنات الخشبي المزخرف.

- فتصف لمن تعاني إحتباس الحيض عن النزول وأوجاع الرحم منقوع اللوبيا والمشماش تشربه يوميا، أما في حالة عدم انتظام الدورة الشهرية فتغلى ملعقة من (القميلة) في كوب ماء وتشرب ثلاث مرات في اليوم، أما التي غاب عنها دم العادة الشهرية وتريد إرجاعها فتلعق العسل مع الزنجار.
- ولتساقط الشعر تصف عصير الجرجير ممزوجا بعصير البصل وزيت الثوم ولا بأس بقليل من ماء الورد معه لتحسين الرائحة ليس إلا، وإن تعذر ذلك فربطة معدنوس مع ثلاث ليمونات قارصات بقشرها وشاي جداري تطبخ في اناء حتى يهترئ قشر الليمونات وتغسل به رأسها فإنه يمنع التساقط كما يطيل الشعر ويكسبه لمعانا وبريقا، وللتي تعاني قروحا برأسها تغسل شعرها بماء الحلبة لمدة أسبوع ثم تطليه بمرارة البقر لثلاثة أيام.
- ولصفار الوجه يغسل الوجه بماء الترمس المغلي مرتين في اليوم، وللبقع السوداء في الوجه تشوى رئة الجمل بغير ملح ويدهن بها الوجه لأسبوع واحد فقط.
- ولتبييض الأسنان الصفراء يؤخذ ملح وفحم وسكر ويسحق الجميع ويعجن بعسل وتدلك به الأسنان فإنه ينقيها ويطيب نكهة الفم، ولمن تعاني رائحة فم كريهة عليها أن تمضغ الكرافس الأخضر ثلاث مرات في اليوم.
- ولمن تعاني رائحة ابطين كريهة تيبس قشر الرمان وتسحقه وتعجنه بماء الليمون القارص الساخن وتطلي به الإبطين مرة كل أسبوع.

- أما الثآليل التي تظهر في الأصابع والجسم عموما فرماد ورق الصفصاف ممزوجا بالخل يزيلها، ولتنعيم الكفين الخشنتين تدهنان بكميات متساوية من عصير الليمون والسبيريتو والجلسرين.

اليوم على غير العادة طرق بابهم رجل في سن الحاج تقريبا تدل لهجته على أنه ليس من أهل بنغازي غريب في هيأته يظهر عليه الاستهتار والشوارعية واللامبالاة وثيابه غير مرتبة لا تليق بسنه مكونة من سروال أمريكي وقميص أحمر قصير الكمين مفتوح الصدر ورسم امرأة يلتف حولها ثعبان موشوم على أحد ذراعيه وحرف N وتحته كلمة (عيوني) موشوم على الذراع الآخر والدخان في فمه ورائحة غير مقبولة تفوح منه، وسأل عن مصطفى فأدخله عبد التواب المربوعة كالعادة ونده على والده الذي ما أن رأى الضيف حتى امتقع لونه وكساه الاصفرار وجحظت عيناه وأطلت منهما نظرة خوف ورهبة إنها المرة الأولى التي يرى فيها عبدُ التواب وجه أبيه بهذه الصورة ،،، وخرج من المربوعة وتركهما وإن بقي منشغلا على أبيه خائفا عليه من هذا القادم المريب فتعلل بإدخال القهوة على الضيف ليفاجأ بوالده وهو الكريم السخي الذي يحرص على احترام الضيف ويكثر الترحيب به والحفاوة يطلب من ذلك الرجل إلا يعود إليه مرة أخرى وأنه لا يريد أن يراه مجددا.

- القليلون منا يجب أن يجبروا على عدم الإحساس

ومضت أيام وأيام على ذلك اليوم ولا حديث إطلاقا عن ذلك الضيف ولكن من الواضح أن الحاجة علمت من الحاج بأمره إذ ظهر الهم والنكد على وجهها وغابت ابتسامتها المعتادة وانطوت على نفسها لا تكاد تتكلم وهي التي كان لسانها لا يتوقف عن الحركة منذ أن تستيقظ في الصباح الباكر حتى يغلبها النوم وهي تتابع بالتعليق والنقد كل مشهد في سهرة التلفزيون.

أيام وعاد الضيف غير الموغوب فيه مجددا ودخل المربوعة مرة أخرى ولكن سمع رغم باب المربوعة الموصد كل من بالمنزل هذه المرة الحاج وهو يقسم له بالله تعالى بصوت عال ونبرة حازمة أخافتهم وأرعبتهم إذ يعرفون جيدا إنه إذا نطق بها لا يمزح ولا يتراجع: إنه إذا ظهر في حياته مرة أخرى فسيقتله لا محالة.

بعد ذلك كثر خروج الحاج في الليل لا يدرون أين يذهب فلا هو في الزاوية ولا مع أصدقائه الذين يجلس معهم عادة في المساء أمام (كوشة سي سعد بوبا) حتى عاد ذات ليلة عند الفجر منهكا بادي التعب والإرهاق والعرق يبلل ثيابه وليتحدث لأيام كثيرا مع والدتهم بصوت

خافت ويسكتان بمجرد اقتراب أحد الأولاد منهما، وشيئا فشيئا عادت الحياة إلى مجاريها الطبيعية وعادت الحاجة إلى طبيعتها الثرثارة المرحة وكلامها اللطيف ونكاتها وتعليقاتها الظريفة وزياراتها التي لا تنقطع وعاد الحاج إلى أصدقائه ومسجده وزاويته وطبيعته المألوفة، أما ذلك الرجل فلم يعد لزيارتهم بعدها أبدا ولم يره منهم أحد .

آآآآه يتذكر عبد التواب كل هذه الذكريات اليوم وقد ابيضت بعض شعرات رأسه وهو يرتدي أجمل ثيابه ويستعد للذهاب لقراءة فاتحة زواج ابنه الأكبر الذي سماه مصطفى على اسم أبيه الحبيب رحمه الله ويمر على أمه في حجرتها ليحادثها قليلا في هذا اليوم السعيد المميز في تاريخ الأسرة إنها لم تتغير كثيرا فما زالت جميلة تصبغ بياض شعر رأسها بالحناء فضولية كثيرة الكلام لطيفة المعشر خفيفة الدم ،،، لكم يذكر حزنها الطويل وبكاءها المر على والده يوم وفاته لقد انهارت كما تنهار عمارة من عشرة أدوار إثر هدم عمود أساس في منتصفها إنه لم تكن تحبه حبا عظيما نادر الوجود فقط بل كان هو محور كل حياتها ودنياها وعيشتها ونفسها الذي تتنفسه وقلبها الذي ينبض في صدرها وعقلها الذي تحمله في رأسها لا ترى سواه ولا تسمع غيره، ويذكر كم كان أنانيا ظالما وهو يستغل حالتها النفسية السيئة التي كانت فيها والحزن والكآبة التي كانت تعيش فيهما ثاني أيام وفاة زوجها والناس تقدم لتعزيتها ليغافلها بعد أن علم أنها فرصته الوحيدة والأخيرة التي يجب أن يغتنمها ليعرف كل شيء عن سر ماضيه الذي أرقه طوال عمره وتحت جنح انشغال الجميع بالعزاء تسلل كاللص إلى حجرة والده وأخرج حقيبة الجلد التي طالما أخفاها والده عن أعينهم وحرص على إلا تمسها يد أحد منهم وضمها إلى صدره بقوة ودخل بها حجرته وأغلق بابها على نفسه وفك قفلها ليجد بها الكثير الكثير.

- يشفى جناح الطير المكسور ويطير مجددا .

من المؤكد أنه لولا موت والده فجأة بلا مرض يسبقه أو دخول مستشفى ينذره لكان أحرقها، كانت تحتوي أوراقا وصورا قديمة وجديدة وبطاقات ومستندات خطيرة اطلع عليها بمنتهى التركيز والاهتمام فانفتحت أمام ناظريه أبواب الماضي على مصارعها وتوالت الإجابات على كل الأسئلة التي حيرته طوال عمره، لا غرابة أن والده رحمه الله كان لا يريها لهم وبقدرة قادر وجد نفسه يخفي الحقيبة عن أعين الجميع زوجته وأشقائه بل صار هو نفسه نسخة مكررة من أبيه طبق الأصل لا يتكلم عن ماضيهم ما قبل ولادة خديجة ولا يحب لأحد أن يسأله عنه، تاريخهم هو فقط والده مصطفى العظيم الذي أدركوه وعرفوه وصنع منهم رجالا ونساء وصورته المكبرة المعلقة في إطار فخم في وسط المنزل والشنة الحمراء

كالتاج على رأسه والجبة العربية السكروته بنقوشها وزخرفتها ولحيته الخفيفة التي اختلط سوادها ببياضها تزين شخصيته القوية كأنها لبدة كثة تجلل وجه أسد هصور، لكم كبر في عينه ولكم طغى شعور مقدس بالحب والإعظام والإكبار نحوه لقد شرحت له الحقيبة ما بين صورة وبطاقة ومستند ووثيقة كل شيء ،،،

ـ قد نتظاهر بأن الجراح غير موجودة ولكنها لا تزال تؤلم .

رحمك الله يا بابا لقد صنعت أسرة مثالية متعلمة مثقفة ذات خلق يضرب به المثل في كل الصابري يحبها الجميع ويحترمونها من ملجأ للقطاء وأم ترعرعت في الأزقة والشوارع في حين عجز كثير من أهل الأموال وأبناء الأصول المعروفة والعائلات المشهورة عن تحقيق عشر ما حققته من التراب بل من لا شيء أصلا، هكذا تكون العظماء أيها العظيم.

وتتحدر الدموع من عيني عبد التواب غزيرة ساخنة وهو يقول في نفسه: مسكين أنت يا بابا ليتك أطلعتني على سرك المهول لأعنتك على حمله بكل قواي أنا ابنك دمك ولحمك وذراعك وسندك وموضع سرك ومحل ثقتك أفديك برقبتي وكل عمري ومالي ولا أسدد دقيقة واحدة من حقك عليّ بدل أن تحمله وحيدا طوال عمرك في قلبك الكبير حتى فتك بك فتركتنا ولم تتجاوز الستين عاما.

<u>أما ملخص ما قالته الحقيبة فهو أنه:</u>

وجد مصلو الفجر طفلا في قماط أبيض لا يتجاوز عمره اليوم الواحد أمام مسجد القبطان في زاوية الدهماني بطرابلس فحُمل إلى دار رعاية اللقطاء حيث أطلق عليه اسم مصطفي فأمضى فيها سني طفولته ثم خرج إلى الشارع فتلقفته الأيدي القذرة ورفاق السوء وغياب الناصح الشفيق فسرق وخمر وشاغب وشاجر بضراوة وضرب بشراسة أبناء الشوارع أمثاله وضربوه هم أيضا بالأيدي والسكاكين والهراوي مرارا حتى كادوا يقتلونه، وصار من معالم الإجرام المعلومة في المدينة بعد أن تورط في ما أوجب مطاردات الشرطة له واشتبك بشراسة مع بعضهم وأطلق عليه الرصاص ونجا وخاض العديد من المشاكل والمخالفات، وكانت الخاتمة المتوقعة هي السجن الذي أمضى سنينا يخرج منه ليعود إليه مجددا وتعرف اثناء ضلاله ذاك في احدي أمسيات السكر والفجور والعربدة على احدى بنات الليل وكان أحضرها بعض رفاقه لتدير لهم كاسات الخمر وتشاطرهم المجون والفجور وتحدث معها ونشأت بين الشريدين الآثمين علاقة انتهت بأن تزوجا.

فجأة حلت الهداية قلبه إثر حادثة غيرت مجرى حياته حيث التقى على غير موعد بالشيخ

امحمد التركي في جامع الشعاب بطرابلس وتردد عليه مرارا يستمع إلى نصحه وحديث وإرشاده ويحضر معه الذكر وقراءة حزب سبحان الدايم فنزلت عليه التوبة وقرر أن يكون إنسانا جديدا، تاب عن ذلك كله وهاجر بزوجته إلى بنغازي حيث لا يعرفه ولا يعرف زوجته وماضيهما أحد ليبدأ حياة جديدة.

فـــــهرس

علامة ليبيا الكبير الشيخ أحمد القطعاني

منقولة عن صفحة {موسوعة القطعاني} على الفيس سبوك ... الناشر.
https://www.facebook.com/alqatani.encyclopedia

1. مختارات من غناوي البادية (أدب شعبي) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1972م}.
2. الروائح الشذية / مخطوط {ألفه سنة 1978م}.
3. الكناش / مخطوط {ألفه سنة 1983م}.
4. متون ليبية / مخطوط {ألفه سنة 1984م}.
5. تسهيل المرام لدارس عقيدة العوام (عقيدة أشعرية) / أكثر من 10 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1984م}.
6. مرشد المبتدئين في تلخيص متن المرشد المعين (فقه مالكي) / مخطوط {ألفه سنة 1985م}.
7. لا مخبأ لعطر بعد عروس (أدب)/ مخطوط {ألفه سنة 1985م}.
8. مواجيد المحبين وأشواقهم لسيد المرسلين / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1987م}.
9. منتخبات زهر الخمائل من قصائد الشعر الشعبي للأواخر والأوائل / (أدب شعبي) مخطوط {ألفه سنة 1987م}.
10. الخلاصة / مخطوط {ألفه سنة 1989م}.
11. الحجة المؤتاه في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف يا عباد الله / أكثر من 22 طبعة كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1990م}.
12. القطب الأنور عبد السلام الأسمر / 8 طبعات كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 1992م}.
13. الشيخ الكامل محمد بن عيسى / أكثر من 8 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1992م}.
14. تقديم وتحقيق وتصحيح وضبط كتاب {مختصر البحر الكبير} للشيخ عبد الرحمن المكي ت998هـ،1590م / مخطوط {ألفه سنة 1993م}.

15. الآرس في نسب الفواتير من آل بوفارس (أنساب) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1993م}.
16. الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة (تاريخ) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1994م}.
17. الداني المدني محمد حسن حمزة ظافر المدني / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
18. الوارث النبوي أحمد بن مصطفى العلوي / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
19. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط كتاب {فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم} للشيخ عبد السلام بن عثمان ت1139هـ،1727م / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
20. تحفة الحبيب الزائر (تراجم) / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
21. الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسى الغوث / 3 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
22. قاف العرب (في علم القراءات)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
23. شيخ الشهداء الصوفي عمر المختار (تاريخ)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
24. حراس العقيدة (تراجم)/ طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1996م}.
25. برقمة عند الوكن (تربية وتعليم)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1997م}.
26. دليل الخيرات محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1997م}.
27. مسرحية فتح مكة (مسرح)/ مطبوع {ألفه سنة 1997م} وهي مسرحية ذات رؤيا تتحدث عن فتح مكة لقلوب الناس وعن أساليب الدعوة الإسلامية الخالدة وآراء كبار مفكري العالم وأدبائه وأعلامه فيها وتقبل عقول الناس وانشراح قلوبهم لها قدم العرض الأول لها بمناسبة ذكرى فتح مكة التي كانت على الأبواب على مسرح الفنان محمد عبد الهادي بدرنه في 16/ رمضان/1418 الموافق 1998/1/15م أداء طلاب وطالبات منارة الصحابة للعلوم الشرعية وإخراج الفنان منصور سرقيوه.

ثم قدم العرض الثاني لها مساء يوم الخميس 2008/10/09 م في اليوم الوطني للمسرح في ليبيا وذلك بمناسبة مرور 100 عام على تأسيس المسرح الليبي الحديث

أدتها على مسرح الكشاف بطرابلس فرقة غفران للأعمال الفنية والمسرحية بالتعاون في عرضها مع العديد من الفرق الفنية الليبية المماثلة وإخراج الفنان صالح بوالسنون.

28. مجالس الفقراء/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1998م}.
29. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط ديوان الشيخ أحمد البهلول ت1113هـ،1701م (مدايح نبوية) / أكثر من 20 طبعة كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
30. على مشارف تونس (أدب رحلات) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
31. من مسجد الحي إلى المسجد الأقصى (دراسات إسلامية)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
32. معالم وأعلام (أدب رحلات) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
33. موسوعة القطعاني الإسلام والمسلمون في ليبيا / طبعتان {أتم تأليفه سنة 2000م}.

استغرق تأليفها 18 عاما تؤرخ لأكثر من 1400 عام أي منذ الفتح الإسلامي لليبيا سنة 21هـ وتوثق تاريخ ليبيا الإسلامية بأدق تفاصيله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسواها ، والصحابة الكرام وآل البيت عليهم السلام الذين دخلوها والذين دفنوا بها منهم ، وأهم الأحداث الإسلامية التي حدثت بها ، وحوت تراجم 700 شخصية من الأعلام ذكورا وإناثا غالبها يؤرخ له لأول مرة ، والرجال المميزين من غير الليبيين الذين دخلوا ليبيا وأثروا بها وعام دخولهم إليها وأهم أعمالهم فيها.

وأكثر من 100 عمود نسب ونحو 600 سند متصل وسند 40 كتاب حديث شريف وأرخت لكل الطرق الصوفية التي ظهرت بليبيا مع ذكر مؤسسيها ومشايخها ووقت ظهورها في البلاد وزواياها وأسانيدها الصوفية ومصطلحاتها وتعريفاتها وبحوث علمية حولها ووثقت وضبطت عدد قبائل ليبيا والكثير من أسرها بادية وحضرا وتنقلاتها وأصول الأمازيغ وهجرتهم إلى شمال أفريقيا ووثقت بمنتهى الدقة لـ 16 دولة هو مجموع الأنظمة التي شكلت دولا أو أسرا حكمت ليبيا في عهدها الإسلامي مع التعريف بمؤسسي هذه الدول والأسر وأهم رجالها ومذهبها وما واجهها من أحداث ، والاستعمارات الحروب الأهلية التي نشبت بليبيا.

وأهم مساجد ليبيا وزواياها ومصاحفها ومدارسها التاريخية ومعاقلها ومكتباتها ومسرحها وصحافتها ومؤسساتها العلمية ، ومؤلفات علمائها المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ودخول أندر نسخة مخطوطة من صحيح البخاري إلى طرابلس والمذاهب

الدينية والنحل التي ظهرت بليبيا والفرق الإسلامية من سنة وشيعة وأباضية والمهديين المنتظرين المزيفين والجماعات الإسلامية الحديثة التي دخلتها أو وجدت بها وتاريخ ظهورها بليبيا ومناقشة أفكارها وعقائدها سياسيا وإسلاميا وثقافيا..

34. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الأولى بعنوان : القطب نجم الدين كبرى رسالتان (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
35. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الثانية بعنوان : المبين الشاهد 29 رسالة (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
36. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الثالثة بعنوان : سياحات القلوب 31 رسالة (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
37. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط منظومة {أهل بدر} للشيخ عبد الله العياشي ت1073هـ،1663م (دراسات إسلامية) مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2001م}.
38. علاج ظاهرة التطرف في ليبيا (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2003م}.
39. منهجية التصنيف السلوكي في التأليف الفقهي المالكي / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2003م}.
40. مسرحية سجين بلا قضبان (مسرح الطفل) / مخطوط {ألفها سنة 2006م}.
41. كأنك تعيش أبدا (الطب البديل)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2006م}.
42. خصائص السيرة النبوية الشريفة (دراسات إسلامية)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة2007م}.
43. المنهج العملي للتحديث {حديث أم زرع نموذجا} (حديث شريف) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2007م}.
44. الكرامة الإسلامية (دراسات إسلامية) / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2007م}.
45. أوبة المهاجر وتوبة الهاجر(ثبت حديث شريف)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
46. سري للغاية / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.

47. أكذوبة الدعوة للإسلام (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
48. وداعا أيتها الدموع(أدب) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
49. موسوعة الأشراف (رؤية جديدة للسيرة النبوية الشريفة) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
50. الحب القذر (فقه مستنير) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
51. إسلام للبيع (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
52. الإسلام هو الحل (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
53. رحلات أحمد القطعاني (أدب رحلات) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
54. لماذا أبكيتم عصام ؟ (أدب) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
55. سالم كريِّم القطعاني وصفحات في تاريخ الوطن (تاريخ)/ نُشر على شبكة النت {أتم تأليفه سنة 2016م}.
56. المسرد الطيع في نسب قبيلة العواكلة آل اسميع (أنساب) / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2011م}.
57. شتاء طرابلس الدامي (تاريخ)/ {ألفه سنة 2011م}.
58. كرائم المسلسلات (ثبت حديث شريف)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2012م}.
59. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط مولد البرزنجي ت 1177هـ،1763م (سيرة نبوية شريفة)/ أكثر من 3 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2013م}.
60. إجازة شيخ الحديث أحمد القطعاني في الأربعين القادرية للشيخ عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني (حديث شريف)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2014م}.
61. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط منظومة {الجوهرة المنثورة} للشيخ عبد السلام الأسمر ت981هـ،1574م (دراسات إسلامية) مخطوط {ألفه سنة 2015م}.
62. من أبطال العرب نجيب بك الحوراني (تاريخ)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2015م}.
63. أزجال الشيخ عبد الرحمن المجذوب في ليبيا / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2015م}
64. تونس الزيتونة والزيتون (أدب رحلات) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.

65. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط {رائية الشريشي} ت641هـ،1243م / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
66. ثلاثيات البخاري في طرابلس وبنغازي وأوباري (حديث شريف) / مطبوع كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
67. غنائم المسلسلات (ثبت حديث شريف)/ مخطوط {ألفه سنة 2016م}.
68. تعرُّفُ المُريد على رجالِ حزب التوحيد (المشهور باسم حزب سبحان الدايم للإمام الجزولي)/ مخطوط {ألفه سنة 2016م}.
69. حزب التوحيد {المشهور باسم حزب سبحان الدايم} للإمام محمد بن سليمان الجزولي برواية وتعليقات وضبط وتشكيل الشيخ أحمد القطعاني نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2017م}.
70. نُوارُ العَشِّيةِ أسانيدِنا في حديثِ الرحمة المُسَلسلِ بالأوليِّةِ (ثبت حديث شريف)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
71. فرحةُ المُحبين بألقابِ أولياءِ اللهِ الصالحين / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
72. الإجازاتُ العشر(ثبت حديث شريف)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
73. العرجون (ديوان شعر) / مخطوط.

<u>إضافة إلى :</u>

مسرحيات وأوبريتات موسيقية منها :

- أوبريت موسيقي بعنوان (الأسوة الحسنة) عرض في يوم السبت 2007/2/3م على مسرح مجمع ذات العماد بطرابلس أداء: فرقة غفران وذلك في أمسية النور بمناسبة دخول مجلة الأسوة الحسنة عامها العاشر .
- أوبريت موسيقي بعنوان (اليقظة) عرض في يوم الجمعة 2008/08/08م بطرابلس أداء: فرقة غفران .
- حولت بعض كتاباته إلى أعمال تلفزيونية وعروض مسرحية.